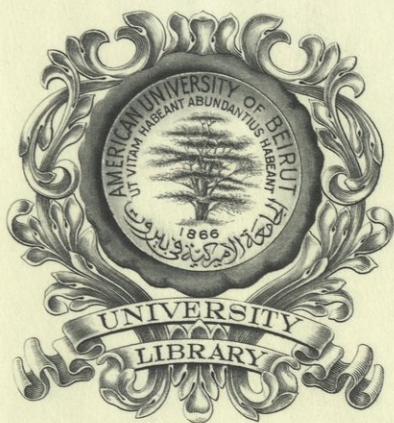
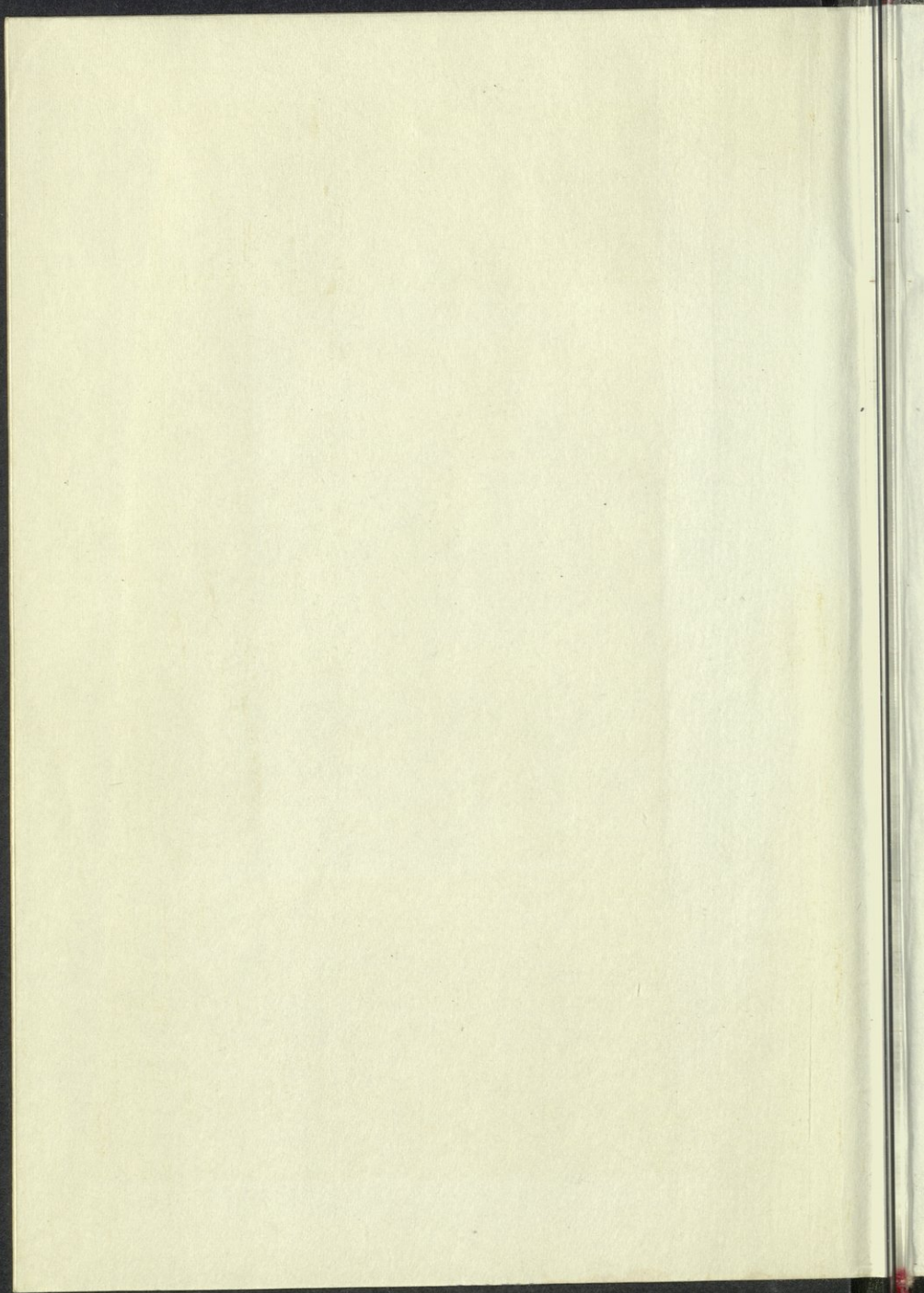
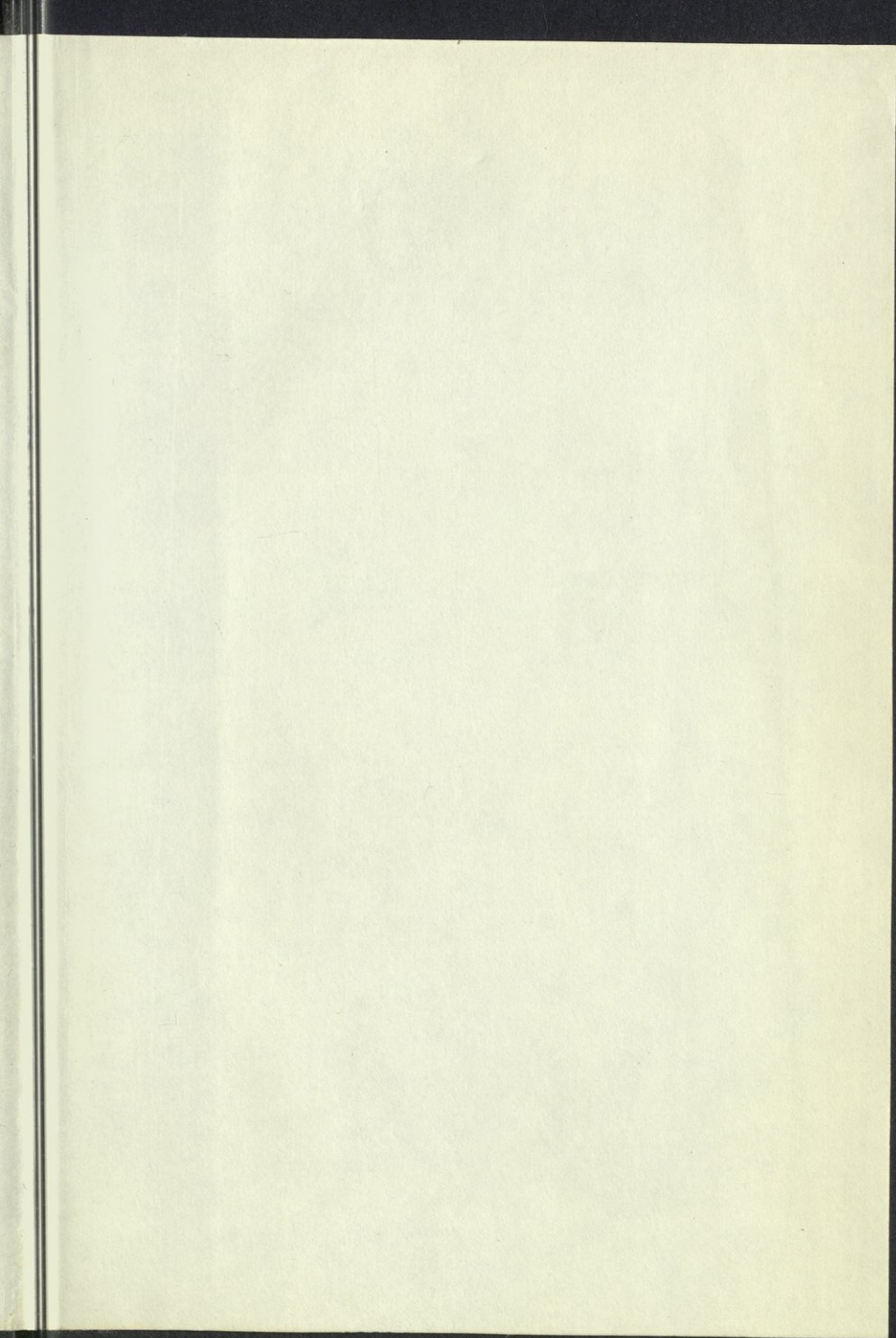
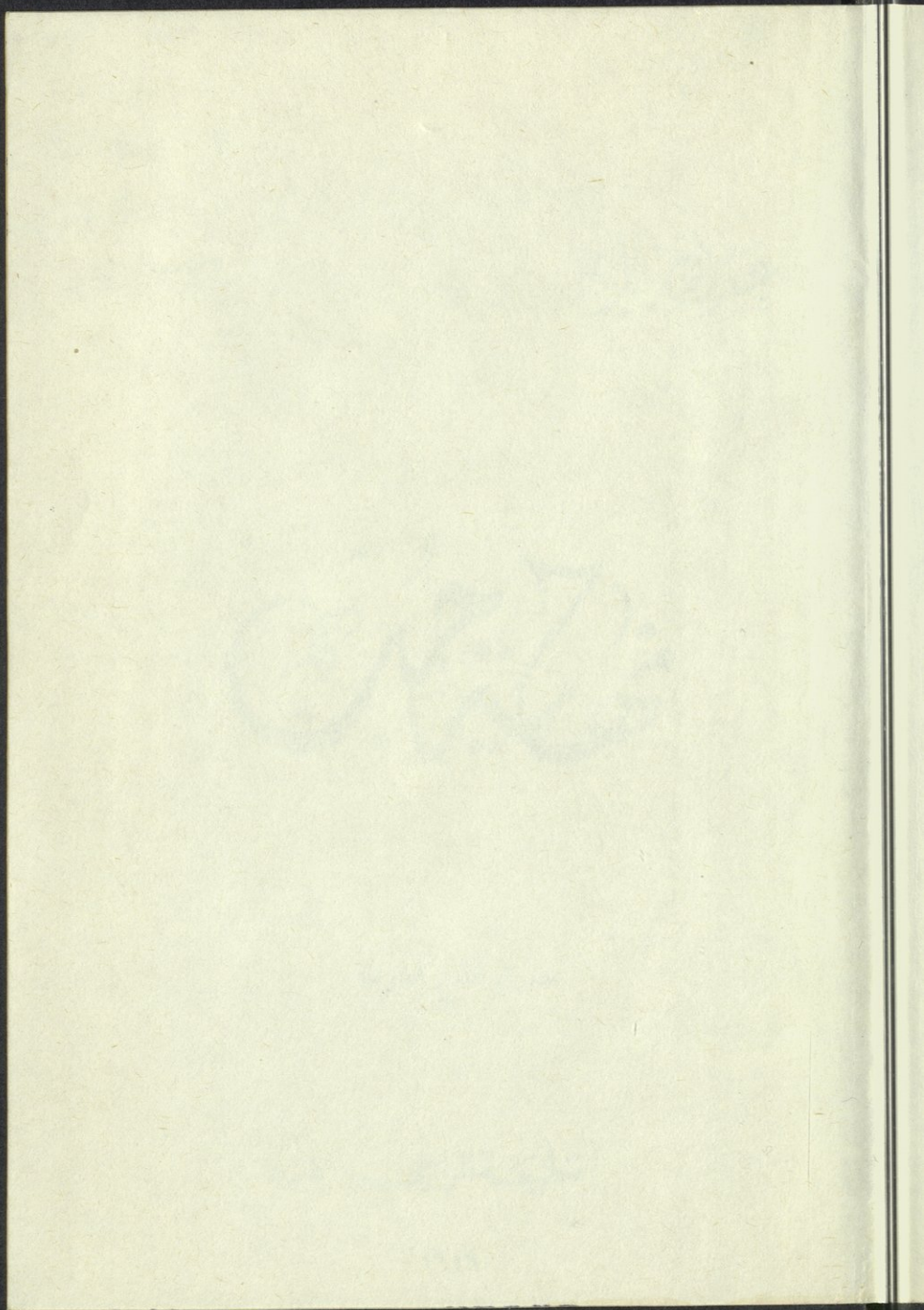


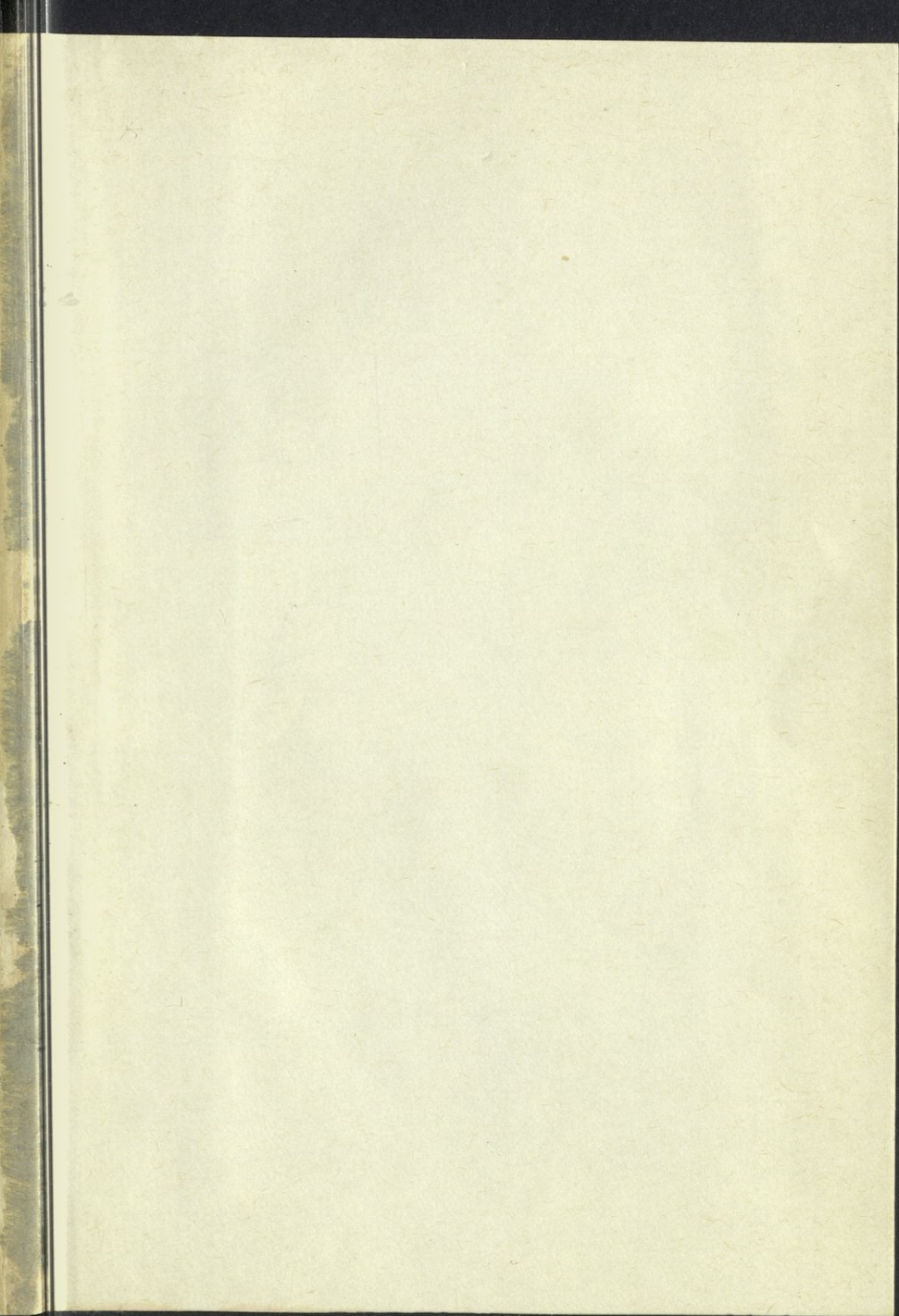
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT











المجلد - الرابع

الف

مح. صدق الحيا

عكس

ع. ن. ٩

892.78

N73 nA

C.1

عبد الله بن علي

نخبة حبيب

مقوق الطابع محفوظة

مطبعة الراعي

١٩٤٩



تقديم

« ليس للاستحاضى الكتاب هذا أية صلة بأمر
فإذا شابه بعض الناس أمر إبطاله فليس ذلك
الا من باب المصادفة فقط »
« المؤلف »

الاشهاد

الى ذوي القلوب الحساسة والذوهر الرقيق .. اذا كان هناك اناس لهم
قلوب حساسة وشعور رقيق الى هؤلاء اهدي هذه النفقات ...

ع. فباري

« ليس كل من عصر عيونه فقد بكى ، انه الباطل لا شرف
من ذلك . . . وما انه لقيت باكياء الا رأيت وجهه
مقبلا على كانه بمأني : ترى منه ايها بنوح الانعام
انما طافت دموعه هي دماء روم . .

اريد انه ابكى بطائي الطبيعي ابراهيم القمر ، لانه يجبل
الى انه مفاتيح كثيرة تفتل برموى »

مصطفى صادق الرافعي

كلمة

بقلم الأديب الأستاذ جعفر الخليلي صاحب جريدة الزمان

قرأت هذه القصة: وأعجبت بها ولم يكن اعجابي بها لانها حوت
من الحوادث والفرائب ما يستأثر بكل الانتباه او بعضه ، ولا لانها
كانت نسيج وحدها من حيث السبك والاسلوب ، وانما لانها كانت
اول قصة طويلة يضعها شاب أديب ، واول محاولة ادبية خلت مما
اعتاد معظم ادباؤنا الشباب ان ينتهجوه في اوليات محاولاتهم الادبية
من تعقيد في الرأي وخيال لا ينطبق على واقع وفرض امور لا يمكن
ان تجري على بال فقصة (نهاية حب) التي كتبها الشاب الاديب
عبدالله نيازي قصة لا يبعدها عن الواقع شيء بل اني لاجزم بأنها
الواقع بنفسه لا تغيير فيه الا في الاسماء ولا تبديل الا في الزمان
فهذه قصة ان لم تكن مرت عليه فقد مرت على قريب له او صديق لم
يكشف بأن يعرف ماجرى له وما كان يكتنفه بل سعى الى ان يتغلغل
الى اعماق نفسه فيصور حتى دخيلتها وما علق بها من هم وغم وتقلب
في النزعة والافكار وهي امور قد تبدو سهلة فيها وهي بالفعل سهلة
عند الذين زاولوا كتابة القصة وأفلحوا فيها. اما البواكير وأما
المحاولات الادبية الاولى فقلما استطاع واضعوها ومحاولوها ان
يوفقوا لقراءة انفسهم وقراءة من يعرفون بحيث يتصدون الى
معرفة ما يحول في اذهانهم

واذا أعوز قصة (نهاية حب) شيء مما تقتضيه القصة الكاملة
من حيث الترتيب والتنسيق والالفاظ فهو شيء غير ذي بال ما دام
العنصر الاساسي في القصة - وهو سوقها بحقيقتها وابتدائها من
نقطة طبيعية معينة وانتهاءها في نقطة طبيعية معينة ذات مغزى يجدر
ان يكون قاعدة نفسية من قواعد الحياة العامة - اقول : ان
ما ينقص هذه القصة لا يعد أمراً ذا بال ما دام العنصر الاساسي في
في هذه القصة متوفراً وما دامت الدعامة التي بنى عليها الكاتب قصته
قربة بعض القربة

واني أرى ان السيد عبدالله نيازي أولى بالتهنئة في باكورته
هذه من الملامة والنقد ما دامت كفة التوفيق أرجح من كفة الاخفاق
في روايته هذه التي اخرجها الى حيز الطبع مستغنياً له ولزملائه من
ادباء الشباب التوفيق .

جعفر الحليلي

تهامس الرجال فيما بينهم وتحدثت النسوة في مجالسهن وقال بعضهم لبعض ان عمر افندي سيتزوج ولن ينفضي شهره الا وتكون الزوج في بيته وانه الآن يهيء نفسه ويؤث داره ، يبيع القديم ويشترى الجديد .

وعمر افندي رجل يشرف على الاربعين من عمره او جاوزها قليلا ، طويل القامة ، ابيض اللون يضرب الى السمرة قليلا ، قوي البنية ، صحيح الجسم مستدير الوجه ، دقيق الانف ، يحوط فيه شاربان لا هما بالكشيفين المدينين ، ولا هما بالخفيفين ، المقرطين ، بل انه اطلقهما على استواء شففيه وقد عمل فيها المقص بعض التهذيب والتنظيم .. يضع على عينية نظارة يستعين بها في اعماله وقراءته وهو موظف حكومي قديم مضت عليه مدة طويلة في خدمة الحكومة الا ان راتبه كان لا يزيد عن الخمسة عشر دينارا ، لاهماله في المطالعة بحقه ولان الحكومة نفسها لا تتذكره لتشمله بالترقيه — مع صحبه الذين يرقون — الا بعد مضي وقت طويل من استحقاقه ، فاما ان

يسأله رئيسه عن موعد ترقية فيذهب ينقب في (الدوسسيات)
وحينذاك يعلم ان يضع سنين مضت على استحقاقه، واما ان تأتيه ترقية
شملت جميع موظفي الدولة . . ذلك لانه كان زاهداً في دنياه ، قالها
بالقليل ، فالراتب الذي يتقاضاه من الحكومة يكفيه الشهر كله
ويفيض عن حاجته فهو راغب عن كل حاجة تدخل في ضمن الكماليات
حتى انه ادخل اكثر الضروريات الى صنف الكماليات . .

ونقل عمر افندي مع من نقل الى هذه البلدة من موظفي الحكومة
لنيلهم الترقية وقد وصل عمر افندي الى هذا البلد وتسلم مهام منصبه
واكثرى له داراً متواضعة للسكنى ، فتوجهت اليه انظار ، وتطلعت
له عيون ، وتبسمت له شفاه ، وسرعان ما ألفه أهل البلدة وسرعان
ما الفهم لهدوء طبعه وصفاء نفسه ونقاء سريرته وأول ما لفت أنظارهم
ان الساكنين في كنفه والساكنين على بعد منه بدأوا يسمعون صوتاً
لم يسمعوه من قبل ، صوتاً عذباً صافياً رخيماً يجعل في الفضاء
قبل طلوع الشمس ساعة يحمل اليهم آيات بينا من القرآن الكريم
فيتهي الى آذانهم فيوقظهم من النوم فيجلسون على الفراش يرففون
آذانهم ليتهي اليهم الصوت بأعذب ما يكون ، تسطع فيه الآيات
سطوع السماء ، مشرقة كالشمس . . فنزداد نفوسهم صفاء وتمتلىء
قلوبهم تهيئاً فيتلو منهم الورد من يتلو ويتمم بعضهم بالأدعية
ويعسحون وجوههم بكلمات يديهم ويقومون للصلاة ، ثم بدأوا يسمعون
الصوت هذا في كل يوم وفي وقت محدد ، قبل طلوع الشمس ساعة

لا يزيد ولا ينقص ٠٠ فسعوا اليه يبعون وده ويطلبون عشرته ،
وأقبل هو الآخر عليهم وضار يغشى بحجـ السهم ويحضر انديتهم حتى
اصبح واحداً منهم لا يفرق بينه وبينهم فارق ، وقد لا ينظم العقد
اذا لم يحضر وصاروا لا يبدأون الحديث اذا لم يستقر يدتهم ويتصدر
مجلسهم ويفتتحه بذكر الصحابة والخلفاء الراشدين فينقل اليهم اخبارهم
ويحدثهم باحاديثهم وما كان عليه المسلمون من الاخلاق والعادات
وكيف انتهى بهم الى هذه الحال المنكرة والوضع الذي لا يطاق ،
وكثيراً ما كان يجرهم الكلام الى النساء وكيف يجب ان يكونن وما
هي الواجبات التي يجب ان تتبعها الزوج في تهيئة شؤون الدار
وخدمة الزوج وتربية الاولاد فيتهزون الفرصة هذه ويسألونه عن
سبب احجائه عن الزواج طيلة هذه المدة وقد بلغ من العمر ثماناً وهو
يعاني الوحدة ويقاسي الحرمان ، وكيف استطاع ان يكبت عاطفته
وما هي الاسباب التي انحرفت به عن طلب الزواج وهو فرض واجب
على كل فرد اقرته الاديان والسنن الطبيعية ولكنه لا يكاد يسمع
مثل هذا حتى يدير الكلام بلبـافة الى موضوع آخر يحتلقه
اختلاقاً على انه كثيراً ما كان يطرق في وجوم ولم يجـبهم
بحرف حتى استخلفهم ان لا يعيدوا عليه حديث الزواج بعد
هذا لانه ليس لديه شيء يقوله لهم الا ان الظروف لم تساعد من قبل
ولا يظن انها ستساعده وكان كما أراد فما عاد بعد ذلك احد يسأله
هذا السؤال أو يستفسر منه عن الاسباب ، ولذلك كانت دهشتهم

عظيمة حينما علموا انه سينزوح وسينزوح فتاة لاهي من فتيات البلدة،
ولامن الاقاليم المجاورة ، ولامن الشمال ولامن الجنوب ، بل انه سينزوح
فتاة بعيدة ، بعيدة عن وطنهم وبعيدة عن اخلاقهم ، فتاة زحمت
من بلاد الانضول مع امها واخواتها الثلاث تزوجت كبراهن رجلا
كان يعمل في الخدمة العسكرية العثمانية وأتى بهم جميعاً الى العراق بعد
ان اخلى الاتراك العراق والغيت وظيفته هناك .. وأخذ يتساءل بعضهم
من البعض ، من هذه الفتاة ؟ بل من الذي اوصله اليها ؟ واوصلها اليه ؟
انه لم يبرح بلدتهم منذ عدة سنوات ، وهو منذ جاء لم يفارقهم ولم
يفارقوه فمن هو اذن ذلك الذي رتب الامر واعد العدة واستطاع
ان يقنعه بالزواج ، ومن هي هذه الفتاة الاجنبية ، وما هي ابرز صفاتها
وكانت ظنون تذهب بهم وظنون تحييهم وهم لا يستطيعون ان
يدركوا سر هذا الغز اليهم .. وسألوه عن صحة هذه الشائعة التي
تدور على ألسنة الناس فأيد لهم ذلك ولم يزد شيئاً على تأييده غير انه
قال بأنه سينزوح ...



مضت أيام ومضت أسابيع وأعلن ان فتاة عمر افندي سستصل
اليوم ، وكانت كل شيء قد جهز ورتب ، وساعده في ذلك نسوة
جيرانه وتولين تنظيم الدار وتنظيفها وتجهيزها ، فكان يأتي للمتاع ويلقيه
البن ليضعه في محله المناسب ، حتى اكتملت الدار وانت بالجديد
وما كان يعوزها الا ان تأتي العروس وتحل فيها ، وهى نفسها في ذلك
اليوم وارتنى حلتها الجديدة التي اعدتها لهذه المناسبة وهى اصحابه
ورفاقه انفسهم وخرجوا لاستقبال العروس وبينهم في انتظارها اقبلت
سيارتان عن بعد الاولى تحمل العروس والثانية تحمل اقارب العريس
واستقبلوا السيارتين الزحيب وذهبوا جميعا الى دار العريس ، ووقف
الركب في الباب وأقبلت النسوة يزغردن وهن يتدافعن فيما بينهن
بالمناكب والاذني وكل واحدة منهن تريد ان تحظى برؤية العروس
هذه التي قيل انها جاءت من بلاد الانضول . وتزاحمت الصديقات
النواهد اللواتي تكورت أبدانهم وعلت صدورهن واكتملت انوثتهن
وحان وقت قطفن يتطلعن بصبر نافذ الى اليد التي سوف تمتد لقطفن ،

يصغقن ويتزاحن ليرين من هذه السعيدة الحظ التي استطاعت ان
 ان تحظى بخير رجل في بلدتهم وهي بعيدة عنه لم تره وهو بعيد عنها
 لم يرها ، واول من نزلت من السيارة كانت صبية لم يبلغ عمرها الثامنة
 عشر عاما الا ان الناظر اليها لا يقدر انها تزيد على السادسة عشرة ..
 بيضاء البشرة ، ذهبية الشعر ، دقيقة الانف ، ضيقة الفم ، عسلية
 العينين ، دقيقة الخصر ، ناهدة الصدر ، بهرهم جمالها وادهشهم حسنها
 وابعثتها مباشرة امرأة في الخامسة والثلاثين من عمرها فابتعدوا عنها
 هي العروس ، لا تزيد صفاتها عن صفات الصبية التي نزلت اولاً الا ان
 النمو قد اكتمل فيها وزادها جمالا وفتنة ، وظنوا الصبية تلك اختها
 الصغرى جاءت معها لتوصلها او لتقيم معها ، ونزل من السيارة الثانية
 اقارب العريس الذين رتبوا الامر وخطبوا الفتاة ودارت مفاوضات
 بينه وبينهم بالمسكاتية ووصفوا له الفتاة وزينوها له واعلموه انهم
 نقبوا عن اصلها وعشيرتها وظهر لهم طيب منبتها وعراقة اصلها وانها
 من عائلة معروفة بالزهد والمحافظة على عاداتها وتقاليدها واخبروه انه
 ان رفض فانه لن يجد فتاة مثيلتها او تضاهيها فابق لهم بالموافقة
 وجاؤا بها .. فارتفعت الزغاريد وتعالى الهتاف ، وابتعدوا ان ينتظروه
 طيلة الاعوام الطويلة التي مرت عليه ما ذهبت سيدي وما راحت
 عبثا وانه استطاع بتمهله ورويته وانتظاره ان يقطف الفطر الورود
 جميعها ، فاعلنت الافراح واقامت الولائم وتوافد القوم بين مهني
 ومتفرج ، فوزفت العروس الى الدار بين زغاريدات النسوة وتصفيق

الصبيات ، ودهش القوم جميعاً واختنقت الزغاريد في حلق النسوة
وبدأت الا كف تتراخي قليلا قليلا عن التصفيق ، وارتفعت الايدي
الى الاعين تفرحها لتنظر من جديد ، وفتح الكل فمه دهشاً متحيراً
لا يستطيع ان يفقه شيئاً ، حين علموا جميعاً ان الصبية هي العروس
ولم تكن تلك الامها جاءت معها لتوصلها وترجع !!.



لم يك حديث اهل البلدة طيلة الاسابيع التي انقضت غير حديث
عمر افندي وعروسه التي لو قدر له ان يتزوج في صدر شبابه لكانت
اصغر اولاده . . . وعم طيلة هذه المدة لم يقطعوا عنه هدايا التي كانت
تنهال عليه دون انقطاع لا يدري مصدرها ولا يعلم من أين تأتي
حتى انتهت الاجازة التي منحتها اياها الحكومة بمناسبة زواجه .
وبدأت الهدايا تخف شيئاً فشيئاً حتى انقطعت . فبدأ عمر افندي
يرجع الى حياته السابقة قليلاً قليلاً ، هدوء بعد عاصفة . وسكون بعد
هياج . . . ينعم بالحلب ويفرغ السعادة من يد عروسه الصبية ، فازداد
نشاطاً ، وامتنلاً صحة .

وتعاقبت شهور وعمر افندي لم يصدق انه يمتلك هذا الملاك
السموي الذي شق الفضاء بأجنحة من نور وهبط في داره فاحلها الى
جنة فينانة بتفياً ظلها ويشرب السلسيل العذب منها ، وكادت الارض
لا تسمعه لفرط فرحه وسروره حين علم ان زوجه حامل ، وانه سيكون
أباً ، وانه سيدنعم بطفل ، وتضرع الى الله ان يجعله ولداً . وشاءت

الحكومة في ذلك الوقت ان تذكره حين لم يرد هو ان تذكره فاصدرت امر نقله الى البصرة وامثالاً لامر الحكومة التي ليس لامرهما مرد، وعلى رغمهما نفساً واحتقب امتعته وسافر، وهناك وضعت زوجته حملها الا ان المولود لم يكن ذكر ابل اثني فحمد الله وشكره على نعمته وهناك زوجته بالسلامة التي لا يطلب غيرها . ومكثوا هناك عاماً وبعض عام وقد اوليا كل عنايةهما الى ابنتهما التي أنعم الله بهما عليهما يسودهما السلام وتطفع عليهما السعادة واحست الزوجة بالحمل الثاني فبدأ يعدان ثياب الطفل القادم . ويظهر ان الحكومة بدأت تذكره في آوتها الاخيرة . فهو لم يكمل العامين في البصرة حتى اصدرت امر نقله الى قضاء مجاور لها . فاي شيء يملك غير الامثال . فهباً نفسه ثانية وحقب امتعته وسافر . وقضى هناك بضعة اشهر وحازت ولادة زوجته فيها فطير برقية الى امها يستعجلها بالحضور ولم تمض اسابيع حتى كانت الام عندهما . وحازت ساعة الولادة وعمر افندي يصلي ويتلو الورود والادعية ويتضرع الى الله ان يحفظ زوجته ويمن عليه بولد وهو كل ما يرجي . . وبينما هو في صلاته وتلاوة وروده اذ بزغاريد قوية تطفح بالبشر والفرح تنطلق من حنجرة ام زوجته . وعدت الى عمر افندي ترف اليه البشري ونادت . .
عمر افندي . . عمر افندي . .

الا انها في اللحظة التي نادته فيها حبست الكلام في حلقها
وتصنعت الاستياء وقالت :

— الحمد لله على سلامه زوجك . . المولود اثني . .

استولى عليه الذهول وأطرق هنيهة الا انه استجمع بعض قواه
وتمالك نفسه وتمتم :

— الحمد لله على السلامة .. الحمد لله على السلامة ..

وامر بالربطة ان تذبح واعطى دراهم لتوزع على الفقراء
والمحتاجين . وانتهت الولادة ووضع الطفل في السرير بجانب امه .
ودلف عمر افندي الى حجرة زوجه يهنئها بالسلامة . ومال على الطفل
وقبله ثم حمله بين يديه وقعد على كرسي ووضع به بحجره وصار يناغيه
وبين هنيهة واخرى يمد يده في غفلة يتلمس الطفل ليتأكد من المولود
ذكر أم أنثى . ولاحظت ام زوجه ذلك فسرتها في نفسها فنالت
والبشر يطفح في وجهها :

— ولد .. عمر افندي ولد ..

فاصطبغ خده بحمرة الخجل ورفع بعصره بحياء وقال :

— المهم السلامة والصحة . والحمد لله وألف شكر على انعامه
علينا ولداً كان أو أنثى . الا ان الشكوك بدأت تتضارب في رأسه
وهو ليس متأكداً من انه ولد أو أنثى . اذ يتمتع الحياء من ان يمد
يده ثانية وافرجت عنه ام زوجه وأتت اليه وحلت القماط عن
الطفل وقالت :

— انظر .. ألم اقل لك انه ولد ؟

فارتسمت على شفاهه ابتسامة ملأها لغبطة والسرور وقال :

— الحمد لله .. الحمد لله ..

نقل عمر افندي ثانية الى بلدته بعد تغرب دام ما يقارب الاربع سنوات ، فعاد اليها وكله حنين وشوق ، عاد الى البلدة التي احبها واحبته وفارقها كرهاً منه ، عاد الى اهلها الذين الفوه وألفهم ولولا الحكومة التي امرته بتركهم لما دار في خلد ان يتخلى عنهم ، فاستقبلوه بحفاوة بالغة وترحيب لا مزيد عليه ، وها هو ذا قد عاد الى احبابه القدماء وها هم اولاء بدأوا ينتظرون ان يتصدر حبيبهم القديم مجالسهم وها هو ذا قد عاد يغشي مجالسهم ويختلف اليها ، لا ينتظم عقدهم اذا لم يأت ولم يبدأوا الحديث اذا لم يجيء ، وتعاقت الايام كأصفي ما تكون ، حب ملازم وود متبادل .. ومن الله عليه بولد ثار أفاض عليه البشر واغرقه في بحر من السرور والفرح .. وشاء احد المنافقين المندسين هنا وهناك ، الذين يفرقون بين اثنين متحابين ، ويفسدون صحبة جماعة متصافية ، بالدسائس الكاذبة والفتن الملققة ، ويوشون بشخص اذا راوه اثيراً عند الكل محبوباً من الجميع ، اقول شاء احد هؤلاء الذين يأكل قلبهم الحقد والغيرة ان يوشي بعمر

افندي عند رئيسه ويتهول عليه كثيراً مدعيًا انه افسد اهل البلدة
 جميعا بعبثه ومجونه وانه يحملهم حملا على مشاركته في عقيدته الفاسدة
 وانه جاحد بالدين كافر بالله ، يسب الاديان السماوية علنا ، ويكفر بالله
 جهراً ويشاء رئيسه المغفل — وكان قد نقل اليهم منذ بضعة اسابيع
 وهولا يفقه من امر البلدة شيئاً ولا يعلم من أمر عمر افندي شيئاً — ان
 يرفع امره الى مرجعه ويقدمه بلهجة عنيفة صارمة مملوءة بالحق
 والكرهية ، ويطلب الامر بفصله والا فانه أي الرئيس سيقدم
 استقالته لان العيش مع عمر افندي غير ممكن بعد هذا ، وتمضي اسابيع
 ويصدر أمر فصل عمر افندي من الخدمة ويبلغه رئيسه بذلك ،
 ويتقبل الامر بكل سكون واذعان ويودع زملاءه وهم بن مصدقين
 ومكذبين ويمضي الى داره كئيب الوجه حزين النفس دامي القلب
 ويخبر زوجه بالامر ويخفف عنها وقع المصيبة ويرجوان لا تأخذله اهمية ،
 لانه مؤمن بالله ، وليس العمل هذا من أمر رئيسه او من عمل اي
 شخص كان وانما هو امر الله الذي لا مرد لامره ، وانه لا يغلق باب
 الا ويفتح آخر ، وسرعان ما سمع محبوبه الخبر فسعوا اليه وهم
 لا يصدقون الذي سمعوه فليس عمر افندي بالشخص الذي يفصل من
 الحكومة ، وكيف يجرأ احد على فصل موظف من خيرة موظفيها
 وان كانت الحكومة لا تأبه بخيرة الموظفين اولا تتمهل لتحص وتفحص
 وترن فبئست هذه الحكومة ، وبئس الموظفين موظفوها . . الا انه
 تلقاهم بابتسامته المعهودة وهدوئه السابق وخفف الامر وذكركم بايمانهم

بالله وقال ان عليهم ان لا ينسوا ربهم وكيف يجوز نسيان ا وكل
 حركاتهم وسكناتهم من وحيه ، وكل عمل يقومون به هو من أمره
 فنظر كل واحد منهم في وجه الآخر وكأنهم بنظراتهم تكلموا جميعاً
 وتفاهموا فيما بينهم فعرضوا عليه خدمته ومعونته ، فإذا كانت الحكومة
 جاحدة ناكرة فلتذهب الحكومة الى حيث تذهب ، وليأت مهر
 افندي اليهم ، فليس هنا من يتخلى عنه أو يجحد فضله . . فشكر لهم
 فضلكم وطلب من الله ان يرفقهم في اعمالهم ، مضت شهور وتعاقبت
 سنون وعمر افندي يعيش بينهم معكراً منعماً يشتغل معهم ويقنع
 بالقليل من الربح ، حتى اقبل في يوم على زوجته والبشر يطفح على وجهه
 واخبرها ان طبيباً جديداً حافظاً جاء منذ أيام وهو خير باجراء
 العمليات وانه تفاهم معه على ان يجري له عملية استئصال الزائدة
 للدودية ، فتألفت الدموع في ماقي زوجها وحذرت بلطف وتوسلت
 اليه ان لا يدفع بنفسه الى الموت الا انه دلف اليها وقبلها في جبينها
 وهدأ من روعها واخبرها بلطف ان لا خوف من العملية هذه ، وليس
 فيها أي محذور ، ولو كان يعرف ان فيها محظوراً لما اقدم عليها ولما
 طاوعته نفسه بالاقبال عليها ، وبات ليله على أن يذهب صباحاً الى
 المستشفى لاجراء العملية ، وكان الصبح واستقبله كعادته باي من
 الذكر الحكيم باوضح ما يكون اشراقاً وأعذب ما يكون صوتاً
 وانتهى منه وقام الى الصلاة يؤديها ، والادعية يرددها ، وقام الى
 الفطور يهيوه وأيقظ زوجته وأولاده ولفهم حوله فتناولوا فطورهم

وعجل على اولاده بالذهاب الى المدرسة وانحنى على زوجه فقبلها وذهب
الى المستشفى لملاقة الطبيب وكان قد أعد نفسه منذ يوم من حيث
قلة الاكل وتسهيل المعدة ، وهنا امتثل عمر افندي اوامر الطبيب
وذهب الى غرفة العمليات ونام على احدى الاسرة الموجودة بانتظاره
وأقبل الطبيب بعد بضع دقائق ومعه اثنان من الممرضين وشاءت الصدفة
او شاءت الاقدار ، أو شاء الله ، ان يحمل الطبيب غير الحقنة التي
اعدها احد الممرضين بالسائل الذي يخدر الجسم بحقنة غيرها مملوءة
بسائل سام كانت قد اعدت لقتل كلب مسعور ويغرزها بفخذ عمر
افندي ويفرغ السائل السام بجسمه ، ولم يشعر عمر افندي الا وكان
ناراً بدأت تسري في عروقه فتلتهمه التهاما وان سكيناً يحز في جسمه
ويقطعها قطعاً وسرعان ما ورم جسمه وانتفخ واخذ يصيح ويصرخ
وسقط في يد الطبيب وأدرك الغلظة التي ارتكبها ، فامرع خلسة الى
الحقنة تلك وافرغ منها السائل المخدر وملاها بسائل سام ووضعها
حيث هي ، ليقوم منها حجة ويثبت فيها ادعاء .. ومضت دقائق وعمر
افندي يتلوى ويصرخ بشدة ، وصرخ صرخة شديدة هداً بعدها
هدوء الابد وفاضت روحه وخرجت صاعدة الى ربها ..



ماذا يفيد البكاء والصراخ وان سراج البيت قد انطفئ ، وماذا
يفيد لطم الخدود وشق الجيوب وان عمود البيت قد هوى وماذا
يفيد عزاء المعزين ومواساة المحبين وصرح البيت قد تقوض من اساسه
بكت زوجه ماوسعها البكاء ولطمت خديها حتى ادمتها وشقت
ثوبها وفعلت الاعاجيب ولسكن عمر افندى مات ، لقد مات ولن يرجع .
نعم مات وترك لها صبية في الثانية عشرة من عمرها وولدين احدهما
في العاشرة والثاني في الخامسة من عمره مات وتركهم جميعاً
مقطوعين في هذه البلدة لامعيل يعيلهم ولا أخ يحنو عليهم ، مات
ولم يترك لهم من متاع الدنيا غير راتب زهيد اجرته له الحكومة
بعد فصله وهي الآن ستقطع نصفه وتعطي لهم النصف الآخر وفوضت
امرها الى الله وقبعت في دارها لاتدرى ماذا تصنع فهي حين
تشرع باطعامهم تشرع والدموع تتألق في ماقيها ، وتفسل لهم وهي
تجهش وترسلهم الى المدرسة وهي جازعة ، ولقد قبعت في دارها واجمة
طول يومها لاتفارق الكآبة نفسها ولا تفارق الدموع عينيتها . قبعت

في دارها وهي في كل ساعة واخرى يكاد يغشى عليها من ثقل الحزن
الجائئ على صدرها والآلام تصطرع في نفسها .

مضت ايام وفي كل يوم كانت تفقد من رونقها شيئاً وتنفد من
وزنها شيئاً ورسمت في وجهها الاحزان سمات ، وطبعت في وجهها
السكابة صوراً .

واعلن في البلدة ان زوج عمرافندي بدأت تحيط الثياب بأجر
لتقتات به هي واولادها ، فمن كان يحب عمرافندي ومن كان حبه
عائلاً بقلبه فعليه ان يذهب بثيابه اليها لتخيطها له ، لان مساعدتها
فرض واجب عليهم ، وقد اقبل السكان عليها يدفعون بالضروري
من ثيابهم وثياب ابنائهم وغير الضروري بغية تشغيلها حتى لقد بعث
لها من هو ليس بحاجة الى الثياب الجديدة لمجرد اظهار العطف والبر
لا بل دفع لها البعض اضعاف ما تستحق من الاجور ليمكنها من
الاتفاق على اولادها الثلاثة اتفاقاً جيداً فكانت مع ذلك تمضي الليل
كله مسهدة باذلة اقصى جهدها في اجادة العمل . وكثيراً ما كانت
يستيقظ ولدها الكبير الذي هو في سن العاشرة فيجد امه محنية
الظهر منكبة على ما كنة الخياطة حيث الخ عليها النعاس وغلبها النوم
وقد اطرقت على غير ارادة منها برأسها على ما كنة الخياطة فيقوم
ولدها بكل حذر ويوقظها بصوت رقيق هادي كله حنو وكله عطف
فتستيقظ مذعورة او كالمذعورة فتتنظر الى ولدها والى نفسها والى
ما كنة الخياطة فتفرك عينيها بكلمات يديها وتطلب من ولدها بصوت

حزين مفعم بالحزن ان يذهب وينام ، وتقبل على الخياطة وكأن نشاطا
جديدا قد عاودها ، فيشفق ولدها ويطلب منها ان تهض لتنام معه ،
فتأبى ويلج الدموع تترقق في ماقيه وتأبى ويجيش بالبكاء
ويستحلفها ان تهض لتنام والافاته سيسهد معها ويبكي ويبكي حتى
يكون الصبح ، وتنظر اليه نظرات طويلة كلها عطف وكلها حنان
وتهمل الدموع من عينيها انها لا فتقوم وتحمله بين ذراعيها تقبله
ويقبلها وتلحس دموعه بلسانها ويرشف هو دموعها بشفتيه وتغضي به
الى الفراش فينامان متعانقين



مضى عام وعام وزوج عمر افندي قابعة في دارها منهمكة في
 خياطتها ، لا تعرف من العالم غير اولادها ولا تعرف من الاعمال غير
 الخياطة وغير تهيئة الطعام لاولادها ، توقظهم صباحاً لتغسل لهم
 وجوههم وأيديهم وتلبسهم ثيابهم وتطعمهم وتودعهم بالقبل الى المدرسة
 ويحيئون الظهر فيتناولون الغداء وينصرفون ثانية ولا يرجعون الا
 والشمس قد اذنت المغيب ليضعوا كتبهم في محالها ويخلعوا ملابس المدرسة
 ويرتدوا ثياب البيت فيمضوا في هوا بريء ولعب متواصل ، وسرعان
 ما يخيم الظلام وينشر الليل سجنه فيذهبون الى امهم ويطلبون منها
 ان تعشيهم وليقرأ منهم من يقرأ ويلعب منهم من يلعب ، أما الفتاة
 فكانت اول ما تنتهي من عشاها تذهب الى كتبها تحفظ الذي طلب
 منها ان يحفظ وتكتب الدرس الذي طلب منها ان يكتب وتمضي بعض
 الليل في القراءة والكتابة ، ولكن الولد الكبير كان قليل القراءة قليل
 الكتابة كثير اللعب والهوى ، لا يذهب الى كتبه الا بعد جهد تبذله
 امه ، فمرة تأخذه بالمنف ومرة تأخذه بالين ، واما الولد الصغير فانه

يذهب الى المدرسة ويجيء فقط يلعب هناك مع من يلعب ويلهو مع
من يلهو ، الا ان الولد الكبير وان كان منصرفا عن القراءة اكثر
الاحيان ومقبلا على اللعب اكثر يومه الا انه كان فطنا بعض الفطنة
ذكيا بعض الذكاء ، يعتمد اكثر ما يعتمد على معاميه يصغي اليهم
ويحفظ ما يقولون ويبقي ما يحفظ عالقا في ذهنه يكتبه متى شاء
ويعيده متى ارادوا ، ولهذا كان منصرفا عن الكتب لا يقرأها
ومنصرفا عن الكتابة لا يكتبها ، وكثيرا ما جر عليه اهماله للقراءة
تعنيف امه وضربها اياه ومباهاته باخته التي لا تفارق كتبها ، وكثيرا
ما جر عليه اهماله الكتابة تعنيف المعلمين وضربهم اياه .. واخته وان
كانت لا تفارق كتبها وهي دائبة على القراءة والحفظ الا ان حفظها
لا يعلق بصدرها غير بضعة ايام ثم تنسى ما حفظت ولا تتذكره الا
بعد ان تعيد القراءة وهي لا تعيد القراءة الا خوفا من معلماتها اولا
ولتظهر السبق في الحفظ على بعض اترابها في المدرسة ثانيا ، ولتتقرب
من امها وتؤثرها بحبها ، فهي تنجح في كل سنة تمضي عليها وربما
يجيء نجاحها متفوقا على اترابها وكذلك كان اخوها ينجح الا ان
نجاحه كان هزيبا متضمضعا ، واما الاخ الصغير فكان ينجح سنة
ويسقط اخرى ، ولقد انتهت هي مدرستها واجتازت الابتدائية
ورسب اخوها الكبير في الصف السادس اما الصغير فقد وصل الى
الصف الثالث في ظرف اربع سنوات وكان تعنيف وكان احتقار وكان
لوم كالتة له امه في اغلب المناسبات ، وكان حب ومدح وثناء منها على

الحتمه ، وكان على امه ان توجد محلا الى اخته الكمية السباقة كأمن
 فيه عليها اما ارادت ان تكمل الدراسة الثانوية ببغداد ولم تجد
 اكثر امنًا واسلم مكانًا واحف صدرًا من اختها تضعها عندها مشعولة
 برعايتها وحنوها وذهبوا جميعا الى بغداد ومكثوا بضعة ايام ضيقًا
 عند الخالة خالة الاولاد ثم رجعوا الى بلدتهم بعد ان طمنتها اختها على
 انها ستقوم بكل ما يحتاج ابنتها اليه وانها لن تميز اولادها عليها
 بشيء ، الا انهم لم يعضوا بضعة اشهر في بلدتهم حتى صدر امر تعيين
 الأم معلمة في احدى مدارس بغداد وقد توسط لها عند الحكومة
 عم الاولاد وهو شخصية كبيرة محبوبة معتمدًا الشهادة التي حصلت
 بها من الانضول ، وكان قد سعى لها لدى وزارة المعارف منذ ان
 توفي زوجها ولكنه لم يفلح الا في الآونة الاخيرة وقد ارسل لها
 امر تعيينها وقال لها يجب ان تهني نفسك في بحر اسبوع لتتسلم مهام
 عملها في احدى المدارس فاجهدت نفسها في جمع امتعتها فحزمت
 البعض واعطت البعض الى الذين عاونوها في لم حاجياتها وباعت ما يهمل
 حمله وما ليس فيه حاجة وذهبت الى بغداد تصحب ولديها بعد ان
 ودعت من جاء الى توديعها وبكت لفراقهم وبكوا لفراقها ، فاذن
 سائق السيارة بالسفر فودعهم وداعها الاخير والدموع تتألق في ماقيها
 ونفخ السائق في بوقه ليخلو له الصبية الطريق وسارت السيارة ببطء
 تحملهم جميعا ثم بدأت تسرع شيئًا فشيئًا وهم يلوحون لها حتى جدت
 في السير واخذت تطوي بهم الطريق طيًا وهم في طريقهم الى بغداد .

يشأ

داحة

داحة

رسل

— ٧ —

ح

او ميارف

ونزلوا اول منازلهم في بيت اختها الى ان يجدوا داراً متواضعة
للسكنى ، وتمكنوا بعد جهد من العثور على دار لا تزيد اجرتها عن
بضعة دنانير شهريا فنقلوا اليها حاجياتهم وامتعهم وما انتهوا من
ترتيبها وتنظيمها الا والجهد قد اخذهم والتعب قد اضناهم ، واستقروا
في دارهم الجديدة فذهبت امهم في اليوم الثاني الى المدرسة التي
عينت فيها لتتسلم مهام عملها هناك وذهبت ابنتها الى المدرسة ابعد ان
جيء بها من بيت خالتها ، وذهب عادل وهو اسم الولد الكبير مع
اخيه الصغير الى المدرسة التي تم تسجيله فيها بفضل زوج خالته بعد
ان بنى جهداً في اقتناع المدير بقبوله لان درجاته التي كانت مقدرة
ضمن شهادة النقل التي جيء بها من بلدته كانت ضئيلة جداً بحيث
تكون عذراً للمدير المدرسة في عدم قبوله لانه لا يسمح لطالب مكمل
في دخول مدرسته .. الا ان زوج خالته رجاه والح في رجاؤه حتى
ان ياخذ على عاتقه تعليمه وتدريبه ، فذهب الى المدير ليرشده الى
الصحيح ، واخبره المدير بدوره بوجود السعي المتواصل والاجتهاد

الحديث ليمتكن من اللحوق بآرابه من الطلاب والا فانه سيدضر الى
فصله اذا وجد منه تباطؤا في الاجتهاد وتلكأ في تحضير واجباته
فوعده بذلك وهو مطرق وارسله مع الفرائض ليوصله الى الصف
السادس وليوصل اخاه الي الصف الثالث .

وكانت امه تضطر الى طهي الطعام وتهيئته ليلا ليكون غداءهم
في اليوم الثاني لأن الواجب يحتم عليها ان تذهب الى المدرسة مع من
تذهب من الطالبات في الصباح الباكر فكانت تأتي اذا كان الظهر
وعلى عجل لتدفيء الغداء وتهيؤه وهي لا تكاد تنتهي من عملها حتى
تقبل ابنتها اولاً ثم ولديها بعد ذلك ويجلسوا الى المائدة بصمت
او جوم فليست زوج عمر افندي من اللاتي يجد الرح الى قلوبهن
سبباً لئلا ، ولا الابتسامة تعرف طريقها الى شفقتها ، ولا الضحك يجد
نفعاً فذاً الى نفسها . مذمات زوجها وترك لها هؤلاء الاولاد الثلاثة
تعاني بسببهم ما تعاني وتشقى في سبيلهم ما تشقى ، لم لا وهي لما تزل
في ريعان الصبا وربيع العمر ، لم لا وفورة الشباب لا تزال تصطرع
في نفسها وتضطرم في صدرها وهي في مثل هذا الجمال الاخاذ والجسم
الممتلئ الغض .. وباستطاعتها وهي في هذه السن ، وفي مثل هذا
الاشراق ان تجد من يخدمها ويرعاها ويقدم لها العطف والحنان كما
راهو عليه هؤلاء اللاتي اذا وقفن بجانبها تضاءلن وانمحين كأنهن غير
ما موجودات .

وله ومع ذاك فانهن يعشن هادئات سعيدات في كنف ازواجهن

لا يرفض لمن امر ولا يخيب لمن رجا ، فكثيراً ما كانت تفكر
ويطول تفكيرها فتهمل الدموع من عينيها انها لا بغير وعي او ارادة
منها .. لذلك فهم يهون فطورهم او غداءهم أو عشاءهم أما بسكون
ووجود واما بعويل وبكاء من ولدها الكبير .. فلها تضطر في بعض
الاحيان الى ضربه اذا تمادى في طيشه أو نزقه ، فيبكي ويصرخ
وهو ان بكى استمر في بكائه لا يسكت الا بعد ان يأخذه التعب
ويسبح صوته من الصراخ ، ولا يسكت الا بعد ان تأتي اليه امه
تقنعه وترضيه فيبطل البكاء ويسودهم الصمت وتجد السكابة طريقها اليهم .
وشاءت الصدف ان ينقل زوج اختها الى الجنوب فذهبوا الى
توديعهم وسافروا

ومضت حياتهم ، رتيبة تسير على وتيرة واحدة لا تغيير فيها ولا تبديل ، يكون الصباح فيتناولون فطورهم ويذهبون جميعاً الى المدرسة ، الام الى مدرستها والبنت الى مدرستها والولدان الى مدرستها ، ويكون الظهر فيجيئون جميعاً ليتناولوا غداءهم ويذهبون ثانية الى مدارسهم ، ويكون العصر وحين تأذن الشمس بالمغيب يؤوبون جميعاً الى البيت فتمضي الام الى طهي الطعام واعداده الى اليوم الثاني وتمضي البنت الى دروسها تقرأ وتكتب وتمضي عادل ليلعب مع اخيه طورا ويتشاجر معه طورا آخر ، فيضربه حيناً فيصمخ وتأتي اليهما امهما وكثيراً ما ضربت الاثنين ، ولم يجد عادل غير داره يلعب فيها ويلهو ، ومع من يجب ان يلعب وهو لم يجد بعد صديقاً واحداً ليذهب اليه ، اما اولاد المحلة فهو لم يتعرف بعد على احد منهم ، ولم يدركيف يتعرف بهم وهو غريب نرح من بلدة نائية في الجنوب ، غريب عن عاداتهم ، بعيد عن اخلاقهم ، بل كيف يحرج على التحدث اليهم وقد لاقى مالاقي من الطلاب في المدرسة فهو

لا يكاد يتكلم الا وبشير الضحك عليه وعلى هذه الالهجة التي ينطق بها
وعلى الكلمات التي يتفوه بها ، تلك الالهجة النابية التي لم يسمعوها من
قبل ولم يالفوها ، وتلك الكلمات التي يعدها مدا حين يجب الاختصار
او يقصرها حين يجب ان يعدها وتغييره بعض الحروف وقلبها وهو
ما يكاد ينطق بكلمة حتى يغرقوا في الضحك ويعيدوا ما قال بسخرية
واستهزاء فابتعد عنهم ليتجنب سخريتهم والمغيط يكاد يأكل قلبه
فيقع في احد اركان المدرسة يسترق السمع الى الكلام الذي يدور
حوله على استطيع ان يغير بعض الماظه وبعض كلماته ويجعل كلامه ملقياً
كلام يتكلمون بطلاقة لا يمدون الالفاظ ولا يقصرونها.

وهو على الرغم من الطيش الذي كان يظهره في بيته وصعوبة
وهياجه الا انه كان هادئاً ساكناً اذا خرج من الدار ، لا يلتفت
الى احد ولا يتكلم مع اي كان ، يذهب في طريقه الى المدرسة
لا يحول بصره عن الارض ويحيى الى البيت من الطريق التي ذهب
منها ، ولا يخطر بباله ان يرد الصفعة اذا صفعه احد بل كيف يستطيع
ان يرفع يده وهو يعلم انه ان فعل فان اولاد المحلة جميعا سيحيطون
به ويوسعون ضربة ولكما ، لذا فانه يتجنب اذا هم وينتعد عنهم
ما وسعه الابتعاد ويكفي ان يجعل من داره خير مسرح يعمل فيه
ما يريد ان يعمل وكان الامتحان النهائي فالتصرف الى كتبه يقرأ
دروسه ويحضر واجباته لاجباً بالعلم ورغبة في النجاح وانما خوف من
المدير الذي انذره بالطرد ومن أمه فأنه يعلم انه اذا رسب في هذه

السنة فان القيامة ستقوم على رأسه ولا تترك من جسده بقعة دون
 ايلام فاخذ يقرأ ويقرأ بدون شوق وكان حين يحين العصر وهو
 الوقت الذي ألف فيه اللعب لا يستطيع ان يرى شيئاً مما يقع
 تحت عينيه لفرط تفكيره في اللعب ، والواقع انه كطفل يلزم له ان
 يلعب وان يأخذ نصيبه من اللعب ولكن عدم فهم المشرفين
 على تربيته مثل هذا الواجب وعدم تنظيم كل شيء وتخصيص وقت
 معين له للعب قد جعله يشعر بالحرمان ويفرط كلما حانت له فرصة في
 اخذاً اكثر مما يستحق من اللعب ، ولعل اشتياقه لهذا اللعب قد
 اوحى له وجوب السعي والقراءة والانكباب على المطالعة سواء كان
 ذلك بوعي أو غيروعي لكي ينجح لان تحقيق رغبته في اللعب اصبح
 منحصراً في النجاح وحده وعلى رغم شروء ذهنه واتجاهه باله للعب
 ألفى نفسه يقرأ ويقرأ حتى نجح في تلك السنة ونجحت اخته ونجح
 اخوه ايضاً فقبلته امه كما قبلت اخته واخاه الصغير وفرحت بهم جميعاً
 وما كانت الارض تسمعها لفرط فرحها وسرورها . كيف لا تفرح وهم
 كل املها في هذه الحياة . كيف لا تفرح وعيناها تترقبانهم يوماً بعد
 يوم ليكملوا دراستهم وليعمينوها على هذا الجهد الذي تلاقيه بسببهم
 وقد ضحت بشبابها وكبت عاطفتها وحرمت نفسها من كل ما يبهج
 ويفرح بسببهم وبسبب تربيتهم وتنشئتهم وقد فرحوا كلهم في ذلك

اليوم وفرح هو لانه نجح من الضرب الذي كان بانتظاره . . وبوسعه
الآن ان يلعب ما يريد ويقفز كما يشاء فليس هناك احد يمنعه او يضربه
لانه نجح في الامتحان ونجاحه هذا يحيز له اللعب والقفز



واضافتهم في العطلة الصيفية اختها الثالثة وهي اصغرهن سنكوفي
الرابعة والعشرين من عمرها تزوجت في السادسة عشرة من رجل ذي
منصب في الجيش مات بعد تسع سنوات من زواجها به في حادثة
اصطدام كادت تذهب بهم جميعاً الا ان الله آثره وحده فمات متأزراً
بجراحه البليغة تاركاً لها ولداً وبنتاً فالولد في الثامنة والفتاة في السابعة
وشاء الله ان يلحق الولد بآبيه بعد بضعة اشهر من وفاته بمرض ذات
الرئة لازمه بضعة اسابيع ولم تقدر محاولات امه ومسايعها في انتقاذ
ابنها من داءه فهي لم تنفك طيلة مرضه من جلب طبيب تلو طبيب
تعمل بارشاداتهم الا انه لامر دلارادة الله وقد اراد ان ياخذ الطفل
اليه فاخذته ، وتزوجت بعد مضي عام او اكثر قليلا من وفاة زوجها
من رجل في مثل سنها تقريبا وسافرت معه الى مقر عمله ورزقت
منه بطفلة كان لا يزيد عمرها عن بضعة شهور حين نزلت في ضيافة
اختها ، فرحبوا بهم اي ترحيب واكرموا وفادتهم واحسنوا ضيافتهم
واخبرتها اختها ان زوجها قد نقل الى بغداد وانهم باحثون عن دار

لسكونهم ولم يطل بهم المسمى ولم يجهدهم البحث حتى وجدوا دار
متوسطة تمتاز بمحديقة تحوطها من جهاتها الثلاث وانتقلوا اليها بعد ان
جاؤا بحاجياتهم ، وفرحت اختها بجميعهم لانهم سيكونون لها خير
سلوى وعون فانها تستطيع الآن ان تنفس عن نفسها وتبعد عنها
بعض الآمها بالتزاور فيما بينها . وفرح عادل لانه وجد في ابنة خالته
رفيقاً جديداً يستطيع اللعب معها متى شاء ويستطيع ضربها ان ابت ان
تلعب معه . فكثيراً ما كانوا يذهبون اليهم وقليلاً ما كانت تحيى الحالة
اليهم مع زوجها تاركة ابنتها الصغيرة عند اختها من ايها السابق
لانها لا تستطيع ان تحيى بها خوف العوارض وخوفاً من التقلبات
الجوية التي تحدث فتمرض احدهما ، فهي قد ذاقّت مرارة العجيجة
مرتين ، مرة في زوجها الذي مات امام عينيها والدم يسيل من رأسه
ووجهه وجسمه ومرة في ابنتها وقد اغمض عينيها وهو بين يديها لذلك
فانها تخاف اشد الخوف من ان تمرض احدى ابنتيها فهي لذلك تهرص
عليها اشد الحرص وقد اعتذرت الى اختها من عدم امكان زيارتها
المتواصلة لهذا السبب فراحت الاخت الكبيرة هي التي زور الصغيرة
وانقضت العطلة ، وكانت طويلة قصيرة ، طويلة على بعض قصيرة
على البعض الاخر طويلة على الفتاة لانها تألف المدرسه وتأنس بها
ولها فيها بعض الصوحيحات تشاركهن اللهوة مرة والدراسة اخرى
وقصيرة على عادل بل كانا حلم اللذيد انتهى بانقضاء الليل وطلوع
الشمس وكم كان يتمنى ان يطول الليل ليغرق في الحلم اللذيد . فهو

اشد ما يكره المدرسة اذ ليس له فيها اصحاب يلعب معهم ويلهو
وليس له فيها اصدقاء يخلصون له الود ويصطفونهم . اما اخوه الصغير
فعليه ان يذهب الى المدرسة كرها او طوعا .

وفتحت المدارس ابوابها بعد اغلاق دام ثلاثة اشهر كاملة
فاستأنفت الام عملها وذهبت البنات الى مدرستها وذهب عادل الى
مدرسته بعد ان تم تسجيله في احدى المدارس المتوسطة وذهب اخوه
الى مدرسته الاولى وعادوا الى حياتهم السابقة . الام في هيئة الطعام
والبنات في القراءة والكتابة وعادل في لعبه ولهو ، ولا يمضي الى
دروسه الا بعد ان يكل هو من اللعب ، او تأخذ امه عنوة وتمضي
به ليقراء . وكثيراً ما كانت امه تشكو الى خالته اذا ذهبوا اليهم
تشكوا هياجه الذي لا ينهي وتشكو طيشه الذي يؤدي في كثير من
الاحيان الى كسر بعض الاواني والصحون اذا هي حاولت منعه
او تعنيفه . وتشكو اهماله لدروسه وعدم احضاره واجباته ، وتنهال
عليه خالته تقرعه بقارص الكلام وتعيره باخته وباترابه الذين هم
اصغر منه سناً ومع ذلك فانهم اكثر منه صفاء واحسن منه سعيًا
واجتهاداً ، وهو يسمع ذلك ولا يزداد الا عناداً ولا يزداد الاتباطؤاً
في الدرس ويكثرون من لومه وتقريعه بكل ما يحضر في لسانهم من
الفاظ قاسية وكلمات قارصة ويكثرون من عناده وتباطئه ، حتى اعلن
انه ترك المدرسة ولا ينوي الذهاب اليها منها حدث من امر ومها
اوسعوه ضرباً ومها انحوا عليه بالقارص . من الكلام ، وليعلمهم من

انه لا يخافهم ، ومن ان تنزيهم اليه لا يحرك منه ساكناً اذا هو كان
راغباً عنها . فصفت امه يداً بيد ولجأت الى اللين ولكن بعد ان
استحكمت منه العناد وازورت عنه خالته وما انفكت من تعييره
وتقريعه . وانحى به ناحية زوج خالته ليفهم منه السبب في تركه
المدرسة باللين والكلام الهاديء الا انه رفض بادهآ ان يجيب فالح عليه
فأفهمه السبب هو كثرة مشاحناتهم معه وتعيره بكل شخص يعرفونه
ورجى منه ان يعود الى المدرسة ووعدته انه سيوصيهم بتغيير الخطة
التي يسلكونها معه ، ووعدته بذلك . ووجه اللوم الى امه واختها
وافهمها بخطأ الطريقة التي يسلكونها في التوجيه . وعاد عادل الى
المدرسة الا انه لم تمض عليه بضعة ايام حتى عادوا الى ما كانوا عليه
فامتنع من الذهاب ثانية وترك المدرسة الى غير رجعة .

نحجت الفتاة في تلك السنة ودخلت الصف الثالث المتوسط
ورسب اخوها الصغير في صفه الرابع الا ان رسوبه لم يكن له اهمية
بالنسبة الى عادل لانه لا يزال صغير السن ولان نظر امه لم يتجه اليه
كما كان متجهها الى عادل الذي كان امل امه في هذه الحياة بعد ان
فقدت كل شيء ، كما وان ليس لنجاح الفتاة او رسوبها شيء سواء
نحجت او رسبت فلا بد ان يدا ستمتد اليها في يوم طال او قصر
وتحفظها كمعروس من بينهم ، ففي الساعة التي تولد البنات يعرف الجميع
انها ليست ملكا لهم فلا يرتجون منها نفعا ولا يؤملون خيرا ، وان
تعلمهم في تربيتها ليذهب سدى اذا تزوجت ، فهم يربونها وينشؤونها
ويهدونها برعايتهم حتى اذا نضجت واكتملت انوثتها ذهبت من
بينهم راضين او غير راضين الى احضان الزوج ، تكرس له حياتها
وتفرقه بعطفها وحنانها وتكون له ابا واما واختا وزوجا ، ويكون لها
عشيرتها ، وقاما تتذكر اباها واماها لانها متجهة بكليتها الى زوجها
تراه والى اطفالها تربيتهم .. وهم ان فرحوا بنجاح الفتاة فلا تها خيرة

أخوتها ولأنها هي الوحيدة التي تطيع كل ما يقال لها وتعمل بكل ما يقولونه لها .

لم يأبه عادل لتركه المدرسة ، ثم انه لم يأبه لنجاح اخته وتفوقها عليه ، فإين له ذلك الفكر ليعلق أهمية تذكر على تركه المدرسة او نجاح اخته ، وكل ما يعاومه انه ترك المدرسة ، وما معنى ذلك ؟ فلتذهب المدرسة الى حيث تذهب وليبق في لعبه وهواه ، وكل ما يعرفه انه قوي على الوقوف في وجه امه او خالته وانه جبار ان عزم على امر فلا يشنيه عن عزه تقريب امه وتشهير خالته .. ولم تكن السنة الثانية خيراً من السنة الاولى ، فهو مصر على عدم الذهاب الى المدرسة ، واخيراً وبعد نزاع ورجاء رضي بمواصلة الدرس على شريطة ادخاله الى القسم الداخلي الذي يأكل وينام فيه ، فاجابوه الى طلبه وبذلوا بعض الجهود وادخلوه مدرسة داخلية ، فذهب اليها وبذلك ضمن لنفسه عدم سماع تقرير امه وتوبيخ خالته كما ضمن حريته في دراسته ، يقرأ متى شاء ويكتب متى يريد ، ولا يهمه سخط المعلمون عليه ام رضوا عنه ، وليس لهم عنده أهمية تذكر ، ومضى عليه هناك يوم وثمان وثالث وهو فرح ببعض الفرح بهذه الحياة الجديدة وان كانت لا تخلو من مشقة ، فكان عليه ان ينهض في الصباح الباكر والظلام لا يزال فيه بقية ليغسل وجهه ويرتدي ملابساً بأسرع وقت لكي يحضر قاعة الطعام ويتناول الفطور مع زملائه وعلى الطلاب في هذا القسم التعجل بتناول الطعام بأسرع وقت والا فان الجرس سيدق

واذا دق فان عليهم ان يتركوا الطعام وان لم يذهبوا منه بعد ، ووجد
 في هذا التغيير بعض السلوى الا ان الذي كاد يفقده صوابه هو علمه
 ان في ضمن منهج المدرسة حراثة الارض وقد جاء دوره فناولوه في
 اليوم الرابع معولا وطلبوا منه ان يحفر ارضا لا تقل مساحتها عن
 بضعة امتار ، فامسك المعول وجعل ينظر اليه ، فاين هو والمعول
 وحفر الارض ، والمدرسة لا تعفي احداً من حمل المعاول هذه وحفر
 الارض ، شكا ذلك الى المدير واعتذر الى المدرس الا ان احداً لم
 يلتفت اليه وبيننا هو يعالج حفر الارض وهو لا يدري كيف يمسك
 المعول لم يشعر الا وصفعة شديدة تهوي على رقبتة سقط بعدها هو
 والمعول على الارض وفي لحظة انهملت الدموع من عينيه فالتفت
 ليرى اي غضب هذا الذي نزل عليه فاذا المعلم يكيل له الكلام ويتوعدده
 بشدة لانه لم يحسن الحفر .. فصمم من تلك اللحظة على الهروب منها
 كلغة الامر ، وما كاد يوم الخميس يحل — وهو اليوم الذي يسمح لهم
 بالذهاب الى اهليهم وأقاربهم — فذهب مع من ذهب واعلم امه انه
 لن يرجع الى المدرسة ثانية .. جحظت عينا الام وماتت السمكات على
 شفيتها وطلبت منه ان يفهمها السبب ، فبسط لها كفيه وقد انتفختا
 وتورمتا ، وسالته عن السبب فارتدى عليها با كياً يجيش بالبكاء ويتمم
 بصوت متقطع ..

— المعول .. المعول ..

فرقت له وطلبت منه ان يفصح فآخبرها ان المدرسة تطلب منه

القيام بالحراثة في كل يوم وهو امر لا طاقة لجسده عليه ويتعالى تحييه
ويبجح صوته .. ففوضت امرها الى الله وهدأت روعه واعلمته ان
ذهابه الى المدرسة هذه لا لزوم له ، وذهبوا عصرآ الى بيت خالته
وكان ساكناً منكس الرأس فاخبرتهم امه بما آل اليه امر ابنها ولم نزد
خالته على ان هزت رأسها وقالت :

أمن هذا ترنجين خيراً ..؟ دعيه ، دعيه وشأنه ، ليذهب حيث
يشاء وليكن ما يكون ، حمالا ، او زبالا ، أو شرطياً يؤدي التحية
الى كل من كان .. وهو قابع في محله مطرق لم ينبس بحرف ولم يحرف
بطرف ، وكان مقدرآ ان يقولوا له مثل هذا الكلام واكثر منه ،
ومضت دقائق والاختان واجتانا ثم انصرفنا الى شرح ما هما عليه
فارسلتنا الآهات وجذبتنا الحسرات ومضى هو الى ابنة خالته يلعب
معها ولم يمض عليها وقت الا وقد سمعنا صراخا يملأ الدار فاسرعتا
لترى الذي حدث فاذا بعادل في خصام عنيف مع ابنة خالته .. هو
يمسك شعرها بكفتا يديه ويجذبه جذبا وهي تمسك شعره بكفتا يديها
وتجره جراً فانها التا عليها الاثنين ضرباً وسباً واخيراً جرته امه اليها
وأقمعدته بجانبها ، وامرت خالته ابنتها ان تذهب لغسل اقداح الشاي
التي لم تغسل الى الآن ..

وقالت امه أترين كيف تجري الاقدار معي بالمعاكسة ؟

قالت اخالة : وماذا يعنيك منه اذ لا يجني النتائج غيره هو ، فهو
وحده الذي سيعاني ما يعاني بسبب هذه الواقعة من شظف العيش

وخشونته ومصائب المستقبل وبلاياه

قالت الام — ولكنى كأم أفلا يحق لي ان اهتم بمصير ابني ؟
انني اكاد اجن حين اراه دون اولاد الناس من حيث سيرته ومستقبله
وانا حين امعن النظر اجدني لا اخلو من التبعة والمسؤولية فاننا لو
كنتم اعني به العناية اللازمة لما آل مصيره الى ما ترين ؟

قالت : ولم لم تعني به العناية اللازمة ؟

قالت الام — أنا اقدر ولا افعل ؟ ! انني لو كنت اعرف كيف
اربيه ولم أفعل لكانت مجرمة



بات في يقين امه وبات في يقين خالته ، وبات في يقينهم جميعاً ، انه
لا فائدة ترجى من ذهاب عادل الى المدرسة ، او انهم غسلوا ايديهم
منه كما يقولون لانه ولد خامل كسول وقد خيب جميع آمالهم التي
كانت معلقة به وبدد جميع احلامهم التي كانوا يحيمون في ظلالها واطهر
لهم من نفسه صورة مشوهة رأوا فيها القبح والمسخ فأشتمأوا منها
وازوروا عنها وكادوا ينكرونها او يتجاهلونها ، لذا فأنتهم لم يبدوا
اي تمنع او انهم لم يندسوا باي حرف اجابة بالرضى او عدم الرضى
حين سألمهم زوج خالته عن رأيهم اذا بذل له بعض الجهد وسعى له
في دوائر الحكومة لعله يتمكن من تعيينه موظفاً ، لان المدرسة
نفسها ستلغظه بعد ان لفظها هو ولا فائدة من ذهابه اليها واياها منها
سوى ان يسخر منكم ويهزأ من نفسه ، جرى ذلك وهو لم يدر
شيئاً عن هذه الجلسة التي عقدت بينهم وقرروا فيها مصيره دون ان
يستشبروه في ذلك او يطلبوا رأيه ولو انه كان بينهم لما تردد في ان

يقوم ويقبل زوج خالته ويوافقه على كل حرف وكانت مفاجأة حين
اخبره زوج خالته في اليوم الثاني ان يذهب الى دائرة عينها له ويهدم
لها طلباً يبيدي رغبته فيه بالاشتغال عندهم واخبره انه قد تفاهم مع
الدير واما الطلب هذامن باب الرسميات فقط . كان عادل يحملق في وجه
خالته وينظر اليه دهشاً يكاد لا يصدق الذي يسمعه وما كاد ينتهي من
كلامه ويربت على كتفه حتى مضى لتوه واخرج ورقة وقلمها وكتب
رغبته في الاشتغال ومضى بها الى الدائرة التي وصفها له زوج خالته
وقدم الطلب وبقي ينتظر امر الدير ولم يمض على انتظاره بضع دقائق
حتى استدعاه المدير وسأله بعض الاسئلة واعطاه ورقة الى موظف
استأه له ، فشكره وذهب الى الموظف واعطاه الورقة واخبره ان امر
تعيينه سيصدر اليوم وعليه ان يأتي في اليوم الثاني للدوام فشكره ثم
ودعه وانصرف وما كاد يصل الى باب الغرفة حتى ناداه الموظف يقول :
— لا تنس ان تأتي صباحاً .

وهزله رأسه دون ان يحجب واسرع في مشيه فكاد الارض
لا تسمعه من فرط فرحه وسروره .

لا يدري ما هو نوع العمل الذي سيناط به ، ولا يدري ما هو مقدار الراتب الذي سيجرو به له فان ذلك لا يهمه ، بل انه لم يفكر بها مطلقاً ، وكل ما كان يريد هو ان يكون موظفاً ومعنى ذلك انه اصبح رجلاً يهاب جانبه لانه سيتناول راتباً في نهاية كل شهر قل أو كثير يستطيع ان يعمل به ما يشاء ، ويستطيع ان يمنح امه شيئاً ولو ضئيلاً ويستطيع ان لا يعطيها أي شيء ، ولتغضب عليه ان ارادت ما وسعها الغضب ولترضى عنه ان ارادت ما وسعها الرضى فان ذلك لا يهمه بقدر ما يهمه ان يكون في عداد الموظفين ، وحث قدميه الى البيت مسرعاً وهو يكاد يطير من شدة الفرح ، تتسع في صدره الاماني وتزدحم في رأسه التخيلات . . . وكان الوقت ظهراً وامه قد عادت من المدرسة وحدها دون اخيه واخته ، وقد اقبل عليها وهو منتفخ الاوداج عالي الصدر وقال متفاخراً . .

— انتهى الامر وقد صرت موظفاً اعتباراً من غد واصل لي

راتب اتقاضاه في نهاية كل شهر ..

اسمعي .. لا تفرضي علي من الآن اوامر ولا تسني لي قوانين
ولا تقولي اعطني الراتب او تقولي اعطني قسماً منه .. ؟ فاختياري
منذ اليوم بيدي ، سأعطيك ان شئت وسأحرملك ان شئت وهنا
سكت لحظة واطرق كأنه يفكر في امر او نسي شيئاً يقوله ، وامه
واحدة تنظر اليه بحزن وتكاد الدموع تنفر من عينيها فارتمى عليها
يقبلها ويقول .. لا . اني امزح معك ، ألا تقبلين المزاح ؟ وهل
صدقت ذلك . ؟ انني سأعطيك الراتب كله .. ولتعطي انت ماشئت
منه اذا شئت .. وجذبت امه آهة عميقة وتأوهت بحزن وقالت :

— ايه بني .. سيجيء ذلك اليوم الذي تندم فيه وتصفق راحة
براحة وتقول : ليتني اكملت درسي .. اجل سيجيء ذلك اليوم
يا ولدي .. سيجيء وتعلم ان هذا الراتب الذي سيعطونه لك لا يغني
ولا يستمن .. وانك لا تدرك الآن شيئاً لانك طفل غر لا تعلم من
الحياة غير اللعب واللهو ، فانت في الصبح تتناول فطورك وعند الظهر
تأكل غداءك وفي الليل تتعشى ثم تبكي وتصرخ وربما تثور وتسب
وتلعن او تشق الثياب وتكسر الاواني اذا لم يعجبك الغداء لانك
لا تعلم ما هو الفقر .. ولا تفهم شيئاً اذا قلت لك انه لا توجد لدي
دراهم فتصرخ وتبكي واذا اردت مني ثوباً وطلبت منك ان تترث
قليلاً ربما استدين بعض الدراهم او حالمات تناول هذا الذي يسمونه

الراتب والذي ستعرفه بعد حين واشتري لك .. انك تأبى ذلك وتصر
على شراء الثوب حالا وبدون تأخير واذا كنت لا تفهم مما اقول
شيئاً فلانك لا تعلم ما هي الحاجة بعد ، فلا يهمك سواء اكان عندي
مال او لم يكن وانما الذي يهمك هو ان اشتري لك ثوباً مهما يكن
الامر والمثل العامى يقول « يدري الذي يثر يدعه كم رغيفاً ثرد ولا
يدري الذي يأكل » ولا يستطيع ان افهمك المثل هذا لانك لا تستطيع
ان تفهمه .. وانما اقول لك انه سيجيء ذلك اليوم وتعلم ان الحياة
ليست سهلة كما تظنها الآن ولا امرها هين وان الايام قاسية عنيفة
جبارة لا ترحم ولا تلين .. وفي هذه الاثناء دخلت اخته واعقبها
اخوه الصغير فربت على كتفه وقالت : اذهب واقعد على المائدة ربما
اعد لكم الطعام .. فانتبه الى نفسه فجأة و كأنه كان غارقاً في لبح
من الاوهام وحاول ان يتكلم الا انها طلبت اليه ان يذهب الى المائدة
ويقدم مع اخويه وانتهت امهم من اعداد الغداء واتت به ووضعت
امامهم وقالت :

— يا لله .. كلوا ..

ومضوا يأكلون جميعاً ، البنت تأكل في سكون وهدوء ، والام
تأكل في وجوم وحزن ، واخوه يأكل كيفما يريد ان يأكل لا يدري
ما حوله ولا يعاب بما يحدث يضع رغيف الخبز في فمه ويصر عليه باسنانه
ثم يجذبه جذباً ويضعه على المائدة بعد ان يقضم منه شيئاً ويتناول

بعده ما شاء من الرز والمرق . . اما هو فقد بدأ يأكل قليلا قليلا
وقد عافت نفسه الطعام وفي كل لحظة يريدان يكلمها واسكن لا يدري
عن أي شيء يتكلم

اتهموا من الغداء وحان وقت رجوعهم الى مدارسهم . وطلبت من
اخويه ان يسرعوا في احضار كتبها فلبيا طلبها وذهبا الى المدرسة
ومضت هي الى عبااتها فارتدتها واوصته ان يلازم الدار ريثما يعودون
وان يكون عاقلا فوعدها بذلك واحكم رتاج الباب خلفها وصعد
الى السطح يلعب هناك فانه قد اعتزم من الان ان يطيع امه ولا
يؤذيها بعد اليوم وقد عزم عزمًا أكيداً على الدوام في المدرسة في
السنة القادمة حيث لم تبق من السنة الدراسية هذه الا اقلها وانه
سيقرأ ويقرأ ويحضر كل ما يطلب منه . وتناول حجراً من الارض
ورسم فيه مستطيلاً ثم شطره من الوسط بخط يقسم المستطيل الى
نصفين ثم قسمه الى ست مربعات وتناول حجراً مسطحاً بعض الشيء
ووضعه في المربع الاول واثني رجله اليسرى وصار يضرب الحجر
برجله اليمن منتقلا به من مربع الى مربع متحاشياً ان يمس الخطوط
التي رسمها ويبسط رجله في المربع الثالث ليستريح قليلا ثم يثنيها
مرة اخرى ويضرب الحجر ثانية الى المربع الرابع ثم الخامس ثم
السادس ويضربه بعد ذلك ضربة قوية يرفعه بعنف الى الخارج ويثبت هو
على رجله ليبدا اللعب من جديد .

وهي لعبة تعرف باسماء مختلفة يسميها سكان الجنوب (بجبر بحاش)
ويسميها بعض المدن (بالحلوق) وغير ذلك من الاسماء . . لعبة
تصلح ان يلعبها اللاعب بنفسه دون اللجوء الى مساعدة الآخرين معه
وهكذا صمم عادل على ان يلعب مع نفسه لانه اراد ان يكون
هادئاً مطواعاً من جهة ولانه صار موظفاً فلا يحسن من موظف ان
يستتر وأن يلعب بمشهد من الناس .

مضى الشهر وحل موعد اعطاء الراتب، وتناول عادل راتبه الذي لا يعدو عن بضعة دنانير . واصرها في يده ثم دسها في جيبه بكل عناية وحذر خوف الضياع ، كيف لا وهو طيلة حياته لم يمسك بيده ديناراً واحداً فضلاً عن بضعة دنانير وكلها تعود له ، وفكر طويلاً في كيفية اتفاق هذه الدنانير ، ماذا يشتري بها وكم يعطي الى امه وكم يبقى منها لمصروفه اليومي ، وفكر اول ما فكر في شراء بدلة جديدة له على ان يعطي قسماً من الباقي الى امه ويبقى القسم الآخر له . . وارسل نظرة الى ملابسه فاكدت له نظراته بانها عتيقة بالية وليس من المناسب ان يمضي في لبسها وهو موظف على كل حال مهما كان نوع وظيفته . وعزم عزماً اكيداً على ان يشتري له ملابس جديدة مهما كلفه الامر ، وان يشتريها حال خروجه من الدائرة ، وانه ما يكاد يخرج من الدائرة الا ويم السواق رأساً ودخل احدى المخازن المعروض فيها بعض الملابس الجاهزة وطلب من البائع ان يجد له بدلة

تلا بسه ، ولبس السترة ووقف امام المرأة ينظر اليها مرة والى نفسه اخرى فوجدها صالحة له ، وان الفرق شاسع بين مظهره وهو بتلك السترة البالية وهذه السترة الجديدة واكد له البائع ذلك ، فساله عن الثمن فاخبره انه لا يزيد عن الدينارين ، لم يساوم في الثمن . بل انه لم يدر بخلده ان يساوم لانه يعلم ان المساومة تكون مع اصحاب الدكاكين الصغار وفي الحاجيات التي لا يزيد ثمنها عن الدرهم فينقصه فلساً او فلسين ، واما مثل هذه الخازن واقل حاجة فيها - باعتقاده - تزيد عن الدينارين فلا تصح المساومة فيها بل انها غير موجودة اصلاً ، وكل اعتقاده ان الذي يحاول المساومة لا بد وان ياخذوا منه الحاجة التي ينوي شراءها ويصرفوه من المخزن صرفاً . وطلب من البائع ان يلف له الملابس بقطعة من الورق وانقده الثمن وذهب مسرعاً الى البيت ووجد امه واخويه ملتفين حول المائدة وليس امامهم الغذاء وقد جلسوا ينتظرونه ودخل اليهم جسدلاً ناك فرحاً وقد نشر الملابس يعرضها على امه ويقول لها ..

— انظري .. كم هي جميلة .. كم هي ثمينة ، اتعلمين بكم ؟ لقد اشتريتها بدينارين ، واعطيت درهماً الى الصانع ، مسكين انه كان ينظر الي كما ينظر السحاذ الى الغني فرق قلبي عليه واعطيته درهماً .. آه لو تعلمين كم اشكرني .. ثم انه اوصلني الى الباب .. وسكت لحظة ثم دس يده في جيبه واخرج منه ثلاثة دنانير ومد يده

بها الى امه وقال :

— هذا لك ٠٠ ألا يكفيك ذلك ؟ اقسم انه لم يبق لي غير دينار
واخذ وبضعة دراهم لاني اعطيت الى كل فراش خمسة دراهم لانهم
هنؤني بالوظيفة وطلبوا مني ذلك

كل هذا وكانت امه تنظر اليه نظرات لا تحسوا من عطف ولا
تخلو من خيبة ، فإن هو وهذه البضعة دنائير وبين الآمال الكبار
التي كانت تعلقها عليه ، والامنيات التي كانت تعلق نفسها حين يتقدم
ولدها ويصبح رجلا ، ليعوض عن هذا الجهد الكبير الذي تبذله
له ولا خويه ولكن قضي الامر وخاب الرجاء وانهارت الآمال وتبددت
الامنيات ، وعزت ذلك الى سوء طالعها وحده فهو الذي رسم الطريق
هذه الى ابنها ودله عليها لتعاني طيلة حياتها من الضنك والالم ماتعاني
وقد كتب عليها ان تقاسي كل أصناف الشقاء وليس لاحد يد ليحجوا
ما هو مقدر للانسان ، ولو انه كان مكتوباً عليها السعادة والفرح لما
دفع زوجها عمر افندي الى ازهاق روحه بيده ، بل لما جاء الطبيب
ففسه الى تلك البلدة فيفكر في اجراء عملية وتقديم نفسه ضحية لها
ولما غير ابنها الطريق وقذف بنفسه الى معترك الحياة وهو لما يزل
زغباً ليظل طيلة حياته يعاني البؤس ويقاسي الشقاء ، وكانت تحنو عليه
وتعطف مها حدث من امر لانه ولدها وقطعة من فؤادها حملته في
احشائها تسعة اشهر وعانت ما عانت من الآم الوضع وصعوبة الولادة

ولانه كلن فرحة ابيه الاولى كما قال لها مرة وهي طريحة الفراش - انه
لم يفرح طيلة حياته فرحاً يعادل الفرح الذي هو فيه حين تأكد انه
ولد - ولانه كان حبيب جدته ومعشوقها لان الله قد امانت جميع
اولادها وهم في المهد ولانه الولد الوحيد الذي سبقت به ابنتها
اخواتها الثلاث ، ولانه كان املها الضاحك ذات يوم . ومن يدري
فلعل الآفة تقلب ويوفر لها الراحة بطريق غير طريق المدرسة ، ومن
يدري ايضاً لعله يبلغ شأواً كبيراً في الحياة ويصبح ذا جاه وهيبة
ومن يستطيع ان يدرك الذي سيحدث في المستقبل ، بل من يستطيع
ان يقرأ الخبوء الذي رسم في صدر الغيب فتناولت منه الدنانير الثلاثة
وطلبت منه ان يضع ملابسه في الحجرة ويأتي ليتناول غداءه وقامت
هي لتأتي بالطعام وانتهوا منه وطلبت منهم ان يهيئوا انفسهم ليذهبوا
جميعاً لعيادة خالتهم في المستشفى لان تسعة اشهر قد مضت على حملها
وآثرت الولادة في المستشفى في البيت للعناية الفائقة التي تبذلها
المرضعات هناك . ولان اسباب الراحة متوفرة اكثر مما هي في
في البيت وانه كان يعلم ان خالته كانت على وشك الوضع الا انه ما كان
يعلم انها دخلت المستشفى لتضع هناك . وانتهوا جميعاً من ارتداء
ملابسهم وانتهى هو من لبس بدلته الجديدة وارسل اليها نظراته
يتفحصها جيداً واقبل على اخويه يستفسر منها الراي فيها اما اخوه
الصغير فقد يعم نحو امه وقال لها متوسلاً .

—ماما . متى تشتري لي انا الآخر بدلة جديدة كهذه . فأمنته
بانها تشتري له واحدة مثلاً قريباً . واما اخته فقد وافقته ان ارجله
وذهبوا جميعاً الى المستشفى .

تتابعت الايام ومضت اسابيع وانصرفت اشهر ، وعادل مكب على عمله . يذهب في الصباح ويحجي العصر وهو راض بعض الرضى عن عمله ، قانع بعض القناعة بالراتب الذي يتناوله وهو على قلته كان يسد حاجته ولا يفوت عليه شهر دون ان يشتري له شيئاً جديداً ويعطي الى امه نصف راتبه وربما جاد على اخيه او اخته واشترى لهما بعض الشيء ، ونجحت اخته في تلك السنة وبذلك اكملت الدراسة المتوسطة ونجح اخوه ايضا وصار في الصف السادس وفرحت الام بنجاحهما وقد عاودها بعض الامل وبدأت خيوط من الاماني تداعب خيالها نحو ولدها الثاني . واذا كان رجاءها قد مات في ولدها الاول فان الرجاء كله او بعض الرجاء بدأت تنتظر تحقيقه في ولدها الثاني وان سنة اخرى تمضي عليه لينهى دراسته الابتدائية ثم انه لم يزل صغير السن فليس ببعيد ان يحقق لها رجاءها ، ونظر عادل الى اخويه وكل واحد منها يطفح على وجهه البشر وتفيض نفسه بالفرح . اخوه

يخلي ارادته على امه ويطلب منها ان تبر بوعدها وتشتري له ساعة كما وعدته اذا نجح . واخته تتوسل الى امها بان تشتري لها ثوبا كالذي ترتديه صديقتها التي جاءت معها امس وامه تعدها بذلك راضية طورا وبزمنه اخرى وتطلب منها ان ينصرفا ريثما تهدأ وتفكر . ينظر عادل الى كل هذا وانه ليرتجى اليوم لو استمر هو ايضا في الدراسة لشكر له هذه الدالة على امه كما هي لأخويه على الاقل . ويجذب الحسرة تلو الحسرة ولكن بدون طائل .

فعزم عزماء كيدا وقرر ان يعود الى المدرسة طالما تنتهي العطلة الصيفية فان المجال لا يزال متسعا كل الاتساع ، فهو بوسعه ان يعود الى المدرسة ثانية وبوسعه ان يعود الى القراءة والكتابة وبوسعه النجاح اذا استمر على القراءة والكتابة . . اما السنتان اللتان ذهبتا منه ، فلتذهبا الى حيث . . وليبدأ من جديد ولا ضير اذا هو انهى دراسته بعد سنتين من انتهاء اترابه لها . . وأقبل على امه والابتسامه تحكم مكانها من شففتيه وقال لها والفرح يكاد يخرج مع صوته :

— امي . . ماقولك . . اني ايضا سأرجع الى المدرسة ؟ ولن انقطع عنها ابدا . .

فابتسمت وقالت :

— يهديك الله يا ولدي . . قالت ذلك ولم ترد

وسرعان ما انتهت العطلة وعادل ثابت العزم متوقفاً الرغبة ..
وذهبوا عصر يوم الى بيت خالته كما اعتادوا ان يذهبوا بين الحين
والآخر، واخبرت امه اختها بعزم عادل على الذهاب الى المدرسة ثانية ،
فأستعت حدقتا عينيها واربد وجهها وقالت :

— ماذا؟ .. ايرجع عادل الى المدرسة !! والتفتت اليه تقول :

الظاهر انك تريد ان تضعي الوظيفة من يديك في هذه المرة كما
ضيعت سنتين ذهبتا من عمرك بدون جدوى ، والآن تريد ان تضعي
الوظيفة حقاً ، ألا يكفيك اللعب طيلة هذه المدة من حياتك .. ؟ ألا
تزال تعد نفسك صغيراً .. ؟ ها هما شارباك قد نجما واصبح لهما ظل
على شفتيك وها هو صوتك قد اخشوشن .. ؟ ومعنى ذلك انك اصبحت
رجلاً .. ومعنى ذلك أيضاً انك تستطيع ان تنجب اطفالا اذا تزوجت
فصعد الدم الى وجهه وأطرق يضحك خجلاً .. فضحكت امه
وضحكوا جميعاً ، وراحت تواصل قولها وهي لا تستطيع ان تمنع
ضحكها وتقول :

— لا تضحكوا أهو كذب هذا الذي قلته .. ؟

فرفع هو بصره وكان الدم لا يزال يصبغ وجنتيه وقال متلعثماً ..
— ولكنني عازمت على مواصلة الدراسة .. فردت عليه تقول :
— اذا كنت حقاً صادقاً في عزمك ، ثابتاً في ارادتك فيمكنك

ان تستمر في الوظيفة وتدرس ايضاً فترح بذلك الاثنين .. الوظيفة
والمدرسة ..

فنظر اليها مستفهماً ، فقالت :

— يمكنك ان تذهب الى عملك صباحاً وتذهب الى المدرسة
ليلاً .. هذا اذا كانت لك رغبة اكيده في الدراسة ، والا فلا تتعب
نفسك وتضيع الاثنين من يديك .. ومن منا يريد لك الشر ..؟
وهل تظن اننا نفرح اذا اصبحت مشرداً وبلا عمل في الطرقات ،
وكنا نعلق عليك آمالاً جساماً ولكن .. وهنا جذبت الخالة حسرة
عميقة وسكتت .. فعقد الصمت لسانه وتكلمت امه وايدت ما قالته
خالته واعادت بعض مقالاته ايضاً .. وقالت :

— ويمكنك ان تحضر واجباتك وتقرأ في محل عملك في اوقات
الفراغ فتستفيد من ذلك .. فاجابهم عادل بالايجاب وقال انه ليس
لديه اي مانع من ذلك لان رغبته في الدراسة تنمو يوماً بعد يوم
وان ارادته لتقوى في كل ساعة وقد صار له عزم لا ينثنى ، فتلقى
الجميع رغبته تلك بالاستحسان ..

ذهب عادل الى المدرسة وبدأ يداوم كما كان مقررأ ، ثابت
المزم قوي الارادة يذهب صباحا الى محل عمله ويأتي ظهراً الى البيت
ليتعدي ويرتاح قليلاً ثم يذهب الى المدرسة ويمضي فيها ثلاث
ساعات ويعود منها ، ولا ينام الا بعد ان ينهي كل واجباته . فلا عجب
اذا كان يحصل على درجات عالية فيأتي بها الى امه ليرى اياها وليبرهن
على ايوائه العهد الذي قطعته على نفسه ، ويحتفظ بالدرجات ليرى خالته
عند زيارتهم اياها ، ولا عجب من نجاحه في امتحان نصف السنة فقد
سمع من عبارات التشجيع الشيء الكثير وقد بدأت امه تعلق
عليه بعض الامال من جديد وسرعان ما تغلغل في نفسها وأمتزجت
مع مخيلتها ، واكثروا من الذهاب الى بيت خالته . وقاموا يمضي يوم
اذا لم يذهبوا اليها . وقد بدأ الهدوء يسوء لعب الاولاد في الايام
الاخيرة وقد ترك عادل مشاحناته مع ابنة خالته وصار يعنف اخاه اذا
راه يشذ او يميل الى اذى اخته او ابنة خالته .

وبدأ عادل يلحظ في الايام الاخيرة شيئاً لم يالغه من قبل ويسمع
كلاماً يدور بين امه وخالته واخته ، وانهم يختلون بانفسهم وتطول
الخلوة بهم . لا يدري لماذا ؟ ولا يفهم شيئاً مما يقولون او انه لم يسترق السمع
اليهم ، ويحسب انهم يتحدثون كما يتحدثون في سائر الايام . كل واحدة
ثبت شكواها من الايام الى الاخرى فيتأففان ويتحسران اولاً ثم
يتنضاه حكان ويتعالى ضحكها فيما بعد وبدأ يلحظ السهوم في وجه امه
فهي ابدأ ساهمة مطرقة لا تلتبه الى نفسها الى بعد ان يد احداهم يده
اليها ليستلذت نظرها فتتظر نظرات متحيرة غريبة لم يالغها من قبل
ومع ذلك فهي حين تكون في بيت خالتها يبدأ الهمس فيما بينها وبين
خالته ويسودها شيء من الذشاط والكمه حماس يدع وجه امه مر بدأ
مرة ومنبسطة اخرى ، وتطرق ساهمة مفكرة طورا وتتكلم جادة
متحمسة طورا آخر . ولحظ ايضاً ان لفظة زواج تتردد بينهما وان
مبلغاً من المال يتنقل في كلامها ، وادرك انهم يتكلمون في امر
هام جداً والا لما استحوذ عليهم كل هذا الجذ فيما يقولون . والا لما
طال بهم الجدال الذي لا ينتهي الا ليعاد في اليوم الثاني . فجد في
الانصاف اليهم وحرص على ان يفهم ما يتفوهون به حتى علم ان
الامر يدور حول اخته ، وان احداً تقدم بالخطوبة اليها ، وانه بنوعي
الاقتراح بها في الشهر القادم ولكنه يشترط عليهم شرطاً قوياً
ويخبرني عليهم امراً لا ينشني عنه ولا يحيد .. وهو انه يطلب من امه

ان تعتزل الوظيفة وتصحب اخته واخاه بعد الزواج الى محل عمله
خارج بغداد ، وعلم عادل ان منشأ تردد الام والوجوم قد كان بسبب
اعتزلها الوظيفة وذهابها بصحبة اخيه مع ابنتها .. فمن يضمن ان
زوج ابنتها سيقوم باعاشتهم الى النهاية .. ثم ان ولدها عادل .. اين
تتركه .. والى من تعهد به ؟ .. وكان يسمع ان خالته تقول لأمه
عليها ان لا تفكر بعادل لان عادلا اصبح رجلا وهو يستطيع اعاشة
نفسه اذا ما عين قليلا ، ثم انه يجب ان لا تقسد هذا الزواج بالمطالة
والتفكير .. وعقد اجتماع ضمهم جميعا ، وكان زوج خالته يتصهده
ودار النقاش عن امر الزواج هذا وقرروا انه يجب ان يتم .

اما عادل ، فانه قد ثار وهاج وبكى .. فعابوا عليه ذلك ، وانها لوا
عليه جميعا بالثناء المطرب والمديح الكاذب ، ونسبوا اليه الرجولة
الكاملة وانه غدا لا يخشى عليه ، والرجل يستطيع ان يعيش في اي
مكان كان بمفرده او مع اهله .. لا يهمه ذلك ، لانه رجل ومن العار
على الرجل ان لا يعطي الرجولة حقها اذا لم يتسع صدره للحياة بماضل
وبكافح ، ويجهد ويتعب ، يحزن ويفرح ، ولم يسموه رجلا اذا كان
لا يداري آلامه ويصرفها عنه بكل شجاعة ، ويتحمل المصائب
ويثبت أمام الرزايا ، والا فان البنت خير منه ، او انه لا يوجد اي
فرق بينه وبين الفتاة الا بالكسوين .. ثناء متلاحق . وتشجيع مطرد .
وقالوا انه اذا عاكس في الخطوبة او مانع ، فلما يفعل ذلك لانه لا يحب خطبته

والذي لا يحب اخته لا يحب اهله وأقاربه جميعاً ، ولا يهتم به بعد ذلك اذا اسيء الى اسم اخته اذا ذهب الزوج عنها لانه يريد لها الشر ولا يحب الخير ، والذي يحب اخته ويحب اهله يضحى بكل شيء في سبيلهم . قالوا ذلك كله وقالوا اكثر من ذلك وكلما قالوا انه يتعمد الاساءة الى اخته منهم من الفوه به ، ويفهمهم ان الذي يقوله هو صعوبة الحياة التي سيلاقيها وهو لم يعتد بعد فراق امه او اهله . فمن الذي سيفعل له ، ومن يطهي غداءه ومن ينظف الدار ، واين يأكل . . وكيف ينام بمفرده في هذه الدار الخاوية . . كيف يستطيع ان يعمل هذا كله بمفرده وهم كما يعمدون لا يحسن القيام بشيء وقد اعتاد ان ينهض في الصباح ليرى كل شيء جاهزاً ، ويأتي الظهر ليجد غداءه مهيباً . واذا توسخ ثوبه فما عليه الا ان يرمى به جانباً ليجده نظيفاً في اليوم الثاني . ولكن القوم سمعوا منه هذا فلم يعطوه اي اهمية تذكر ، بل انهم افهموه انهم سيمتلكون له المعجوز الخادم التي تتردد عليهم بين حين وآخر لتعمل له ما يحتاج اليه ولا عذر له بعد ذلك . وكلما حاول ان يقول شيئاً صرخوا في وجهه وقالوا : « انك لا تريد الخير لاختك » صمت عادل وآثر السكوت وهو لا يستطيع ان يتصور كيف يمكنه البقاء بمفرده وهو لا يزال غراً ليس له من التجارب شيء . بل انه لا يستطيع ان يتصور كيف ان امه ستتخلى عنه وتذهب وكأنه ليس ابنها ، بل كيف تأمن على تركه بمفرده وهو في سنه هذه . الاتخاف عليه من الاشرار المنبئين هنا وهناك ولا يخلو منهم مكان . الاتخاف ان يحرقه

هذا التيار الزاخر القوي المملوء بالفسق والفجور والرذيلة الذي يحتاج
العاصمة الآن . ويذهب مع من يذهب ضحية الطيش وهو في هذه
السن النضرة والشباب الرقيق والعاطفة التي تحتدم في نفسه وتغور
الأنحش عليه الجنون ، انه لا يستطيع ان يتصور ذلك . وان عقله
يسكاد بقف ويأبى المضي في التفكير . بل اين له تلك العقلية ليفكر
بهذا كله . انه فكر اول ما فكر في تهينة طعامه وغسل ملابسه وقد
أمنوا له ذلك فاذا يريد بعد

فرضخ وأذعن والله يعلم انه كان يبكي في كل لحظة يخلو بها مع
نفسه ولم لا يبكي . . ان امه ستتخلى عنه بهذه السرعة وتذهب وكأنه
لم يكن وكأنها لم تكن وهب انها تستطيع نسيانه فكيف يستطيع
هو ان ينساها ويحتمل فراقها ومها يكن فان الخطوبه اعلنت والشهر
مضى والقران تم وحل يوم سفرهم جميعا

تركوا له نصف المتاع الذي كان يعود الى ابيه لقد تركوا له من
الفراش والاعطية الشيء الكثير وتركوا له ماشاء من الاواني والقدر
والملاعق والسكاكين وغير ذلك مما يغيب عن حاجة ثلاثة انهار . .
وحان وقت سفرهم وكان يشرق بدمعه ويجهش ، وعبثاً يحاول
ان يمنع البكاء وكانت امه تشرق بدمعها وتجهش ايضاً وعبثاً تحاول
ان تمنع بكاءها وكانت خالته تبسم ، وكان زوج اخته يشجعه ويحييه
على التجدد وكان زوج خالته صامتاً ينظر اليهم ويتسكع نرأى وكانت
ابنة خالته تعيب عليه بكاءه وتهمه بالضعف لانه رجل والرجل لا يبكي

لقد قبل بعضهم البعض ، وتوادعوا فيما بينهم ، واقبلت عليه امه
لتقبله قبلتها الاخيرة فهرب من امامها وأحاط وجهه بذراعه واتجه الى
الحائط وجعل يبكي بكاء مرأ ، بكاء يذيب الالكباد ويحرق النفس فقبلته
امه من رأسه وتوسلت اليه ان يكفكف دمه ووعدته بعودتها اليه ريثما
تستقر اخته هناك ، ونفخ سائق السيارة بوقه يعلن الاسراع
وطلب اليهم زوج اخته ان يعجلوا وطلب من زوجته ان تذهب الى
السيارة فاذعنت ونحت الى اخيها وقبلته والدموع تتألق في مآقيها
وقبلته امه ايضاً وقبله اخوه وودعه زوج اخته وقبله ايضاً وانتضموا
في السيارة ونفخ السائق ليخلي له الصببة الطريق وسارت السيارة
تحملهم جميعاً وبدأت تسرع شيئاً فشيئاً وهم يلوحون لها بايديهم
حتى جدت في السير واخذت تطوي بهم الطريق طياً



واخذته خالته الى يديها وهي تحاول جهدا المتخفيف عنه بالكلام الهادئ والحديث المضحك لتمنع عنه البكاء الذي لازمه والاصبح للتواصل وهو ما يكاد يهدأ حتى يعود الى البكاء ثانية ، وراح كلما يفكر في تخلي امه عنه وغربته يحن جنونه ويجهش بالبكاء ونام في تلك الليلة عند خالته وحين لاح الفجر وتسالت خيوط الشمس الواهية الضعيفة الى الحجرة التي ينام فيها ، وهبت العواصف والعنادل من وكناها تشقق وتغرد على فروع الاشجار المتدليلة على شباك الحجرة فتتح عادل عينيه متثاقلا وادار رأسه يتفحص الحجرة بنظراته ثم نهض من الفراش ودلف الى النافذة وفتحها واستنشق نسيم الصبح المشبع بالندى المنعم باربع مختلف الازهار والرياحين ، فانتشى لذلك وهذا قليلا ، وارسل نظره يتملى فروع الاوراد واصص الازهار ، تداعبها النسيمات الخفيفة فتميلها شمالا وتثنيها يمينا فتبعث في النفس البهجة وتفيض في القلب الجبور ثم مضى بعد ذلك وحياهم جميعا

وارتدى ملابسه وجلس يتناول فطوره ، ثم قام ليذهب ، فطلبوا منه ان يحضر الغداء على مائدتهم في هذا اليوم واخبروه بانهم لن يتفقدوا اذا لم يأتهم وما زالوا به حتى وعدهم بذلك وانصرف ..

ومضت أيام وعادل يلاقى ما يلاقى من الوحشة والحزن .. فكان عليه أن يستيقظ والشمس لما تنزل في خدرها ليوقد النار ويضع آنية الشاي عليها ثم يمضي الى السوق ويأتي بالخبز والبيض او الجبن او ما شاكل ليكون فطوره .. وما ينتهي منه الا ويكون وقت عمله قد حان فيذهب مسرعاً .. وما يكاد يخرج ظهراً الا ويمضي باحثاً عن مطعم يتناول غداءه فيه ، أو يشتري له ما يتيسر ويحمله معه الى البيت ثم يذهب الى المدرسة ليبقى فيها ثلاث ساعات ويخرج ليفتش عن عشاء له وكثيراً ما كان يبيت على الطوى لضيق ذات اليد وعدم تمكنه من شراء اي شيء وكان قلما يمضي عليه يوم دون ان يبكي ويسترسل في البكاء

ذهبت امه وتخلي عنه الجميع وغداً فريداً غريباً يتقاسي البؤس ويتجرع الشقاء ذهبت وتركته في خضم هذه الحياة الهائجة المائج المائج لا يدري ما يعمل ولا يدري الى اين يذهب ولا الى أي وجه ينحو وصار يتخبط في عمله يتخبط الطفل او تخبط المجنون فهو لا يأتي الى البيت مساء الا وتنقبض نفسه وتستحوذ عليه الآلام ويركبه الحزن ويرى الوحشة مجسمة في هذه الدار الخاوية الا منه ويرى

السكابة تتراقص في فضاءها والاشباح تلوح وتختفي في رتمي على سريريه
 ويحجب الدار عنه جميعا بكتاب ينشره امام عينيه ، او يفرق نفسه
 في الفراش ويسحب الغطاء الى رأسه ويبكي واصبحت حياته جحشا
 تقذف المظي والحمم في وجهه وينفت دخانا حالكا يعمي بصيرته فسئم
 نفسه وسئم الحياة كلها ، ونظر اليها نظرة قائمة عبوسا .. ولا عجب
 اذا ترك المدرسة ورفض الذهاب اليها .. او قل لا عجب اذا سئمها
 فابن هو الفكر الذي يستوعب القراءة ، وابن الروح التي تحبب اليه
 الكتابة .. يتعمد في محل عمله ويفكر اي شيء سيكون غداؤه ..
 ومن اين يستدين في هذا اليوم ؟ لينفق على طعامه .. أما في المدرسة
 ففكره في عشاءه وماذا سيكون الفطور ومن اين يأتي به .. ويفرق
 في التفكير ويطول به الاطراق فيلاحظ عليه المعلم ذلك ويستدعيه
 للقراءة فيهب واقفا لم يخرجوا ، فيضحك منه الطلاب ويعنفه المعلم ..
 وتكرر اطراقه في المدرسة وسهومه في اثناء التقرير وتكرر ضحك
 الطلاب منه وتعنيف المدرس له وتقريبه بما يحضر في لسانه من ألفاظ
 وتدهور في دروسه في الشهر الاول بعد نصف السنة وتركها في الشهر
 الثاني .. وعادت الخالة الى تقريره ومؤاخذته على الانقطاع من
 المدرسة وعبثا حاول ان يفهمها السبب ويشرح لها سر سامه .. ومن
 يستطيع ان يفهم ما يقول عادل وهو لم يقاس ما قاسى ولم يدرك بالذي
 يعاني .. وكيف يستطيعون ان يحكموا عليه ولم يمر على أحد بعض

الذي سر به حتى اذا يتسوا منه تركوه وكفوا عن الكلام بشأن
المدرسة .. الا انهم كانوا يعطفون عليه بعض العطف . ويولونه بعض
العناية لا يدري أي شفقة منهم لانه غدا غريباً وهو لما نزل في ريعان
الصبا وفورة الشباب .. أم هو عطف حقيقي صادر عن قلب عامر بالحب
وكيف كان الامر فقد كان يجد بعض الراحة عندهم ، لانه كان يستشعر
في ذلك العطف شيئاً من عطف الام وحنوها .. فكان يذهب الى
بيت خالته بين الحين والآخر ويمضي معهم ردهاً من الوقت بنفس
قليلاً عن نفسه ويزيح بعض آلامه .. وكثيراً ما كانوا يطلبون منه
المبيت عندهم فيعتهذرونهم ويلحون عليه فيرفض .. وكثيراً ما كان
يمتنع ويصر على امتناعه فيغلقون عليه الباب ويمنعونه من الخروج
فبيدت على رغم ارادته .. وهو بالرغم من انه كان يلحظ منهم بعض العطف
الا انه كان يتألم كثيراً اذا شعر باحد يرثي له أو يشفق عليه لانه يعلم
ان الشفقة هي من مشتقات الاحتقار ، وقد كان يميز بين العطف وبين
الرثاء ولكنه لتبليل افكاره واختلاط مزاجه لا يستطيع ان يميز
بين العطف الحقيقي والعطف الزائف .. وكانت الخواطر تتضارب في
رأسه في ادراك كنه العطف الذي تسبغه الحالة عليه ، أهو عطف
خالص أم شفقة مشوبة برثاء .. لذا فإنه كان يقتصد في تدلله عليهم
وبيديهم من الاعتراز بنفسه اكثر مما يجب .. وكان يجد بعض
عناية خاصة من ابنة خالته ، فهي ما تنفك حين يأتي تقدم له الشاي

والقهوة او تخصصه ببعض الشيء ، وكانت تلح عليه كثيراً بالمبيت
عندهم .. وهي التي كانت تغلق الباب وتخفي المفتاح عن عينيه ، وهي
التي كانت تفرش له الفراش وتأتي له بالغطاء ثم تطلب منه ان ينام
لتغطيه هي .. وكان يتعقبها بنظراته ولا يحولها عنها الا بعد ان تغيب
من امام ناظره ، وكثيراً ما كان الكلام يخونه اذا كلمته هي أو حاول
ان يكلمها هو .. فيتلعثم في كلامه وتحمّر وجنتاه خجلاً وصار لا يذهب
عنهم الا ليفكر في اي وقت يجب العودة اليهم وصار حين يؤم بيت
الخالة لا يشغل ذهنه وهو في الطريق غير ابنة خالته كيف سيقابلها ؟
وما الذي ستقوله له وما الذي سيقوله هو .. حتى استحوذت على
كل تفكيره وتغلغلت في شعاب قلبه وهناك ادرك انه بدأ يحبها وان
قلبه يهفو اليها .. وكلما اطلق لتفكيره العنان ليحلق في سماء نفسه
شعر ان الحب هذا لم يكن وليد لحظة او ساعة او يوم ، وانما يرجع
عهده الى ايام الصبا وعهد الطفولة .. يوم كانا يلعبان سوية فيمتحاضان
ويتشاحنان ، وانه كان ينمو معها ويتزعرع ، واذا كانت الطفولة تحول
بينه وبين تفهم هذا الحب والافصاح عنه فها هو ذا الحب الآن يتجسم
وبفصح ويقرب الالفه بينهما بحنين احدهما الى الآخر .. ومضت الايام
سراعاً وعادل يكثر من مجيئه اليهم يوماً بعد يوم ، وما عاد يتمتع اذا
طلبوا منه المبيت أو يعتذر من تناول الطعام .. فكان يطيل النظر
اليها وهي تطيل النظر اليه ولا شيء غير ذلك .. وكان يقتصد في كلامه

اليها ويتحاشى من مخاطبتها امام امها او ذويها ، واذا هى حاولت ان
تتكلمه امام امها لاذ بالصمت او يدير الحديث مخاطبا امها ، لانه كان
يخيل اليه ان امها ترقب حركاته وتنظر اليه بين الحين والآخر تعمداً
لظنه انها تعلم ما يضره نحو ابنتها .. ويخيل اليه ايضاً ان الكل يعلم
ما يضره او انه يخاف ان يعلم الكل ذلك ..

وذهب اليهم عصر يوم فالفاهما واقمة لدى الباب بصحبة اخوتها
فأقبل اليها مسرعاً يتطلق وجهه فرحاً وبشراً ، ترسم على شفتيه
ابتسامة رقيقة عذبة تفصح عن بعض ما يخفي ويكتم من شوق وحب
لقد اقبل عليها يحيطها فرفعت يدها وضربت ضربة خفيفة رقيقة لطيفة
على خده الايمن ترد عليه التحية ، فصعد الدم الى وجهه وتوردت
وجنتاه بالدم القاني فزاد من ابتسامته لها ثم دخل .. وعلم انه لا يوجد
احد غيرها وغير اخوتها وان ابويها في زيارة بعض الاصدقاء ..
ووقف بجانبها ينظر اليها وتنظر اليه ويبتسم احدهما الى الآخر ويمضيان
في حديث متشعب ، هو يكلمها عن نادرة وقعت له .. وهي تكلمه
عن اخوتها وكثرة مشاحناتهم .. وابطأ مجيء خالته وزوجها فطلبت
منه البقاء فاعتذر بوجود بعض الاعمال .. والله يعلم ان اي عمل لم
يكن لديه وانما كان خوفاً من مجيء خالته وزوجها لئلا يجدها هناك
ويسئله الظن ، في انها لا يفكر ان مطلقاً بان عادلاً يمكن ان يجزأ
على التفكير في ابنتها .. والمحـب هكذا ، يظن بل يعتقد ان حبه

مفضوح وسره شائع وان لم يعلم احد بشيء من امره ٠٠ وكل نظرة
توجه اليه يحملها على غير قصدها ويفسرها بغير معناها ، لذلك كان
يخشى عادل ان يكون امره مفضوحاً لدى خالته وزوجها وحين ألح
على الذهاب ألحت هي عليه بالبقاء فاعتذر وانصرف وان الارض تسكاد
لاتسعه لفرط فرحة وسروره في تلك الامة



عجالت الايام تدور بسرعة طوراً أو ببطء طوراً آخر وعمر على عادل ايام
واسابيع واشهر وهو يزداد في كل يوم حباً لها وتفكيراً بها ، حتى
شعر ان روحه قد امتزجت بروحها وانها ملأت كل قلبه واستحوذت على
كل تفكيره وانسابت في دمه حتي لقد اصبحت قطعة منه لا يستطيع
الاستعداد عنها ولا يهدأ الا اذا كان بقربها . يتكلم بالنظرات
ويخطب باللبسات ولا شيء غيرها ، يثبت نظره فيها وتثبت نظرتها
فيه ، فيبتسم احدها الى الآخر ، ثم لا يحول نظراته عنها الا ليعود
ويثبتها مرة اخرى فيها حتى اذا التقت الانظار ابتسما . فيطلق افكاره
تسبح في عالم من الخيال تداعب رأسه احلام حلوة لذيدة فيها الشيء
الكثير من الاماني والتخيلات وما يعود اليه صوابه ويدرك الحالة
التي هو فيها الا وتغشيه غاشية من الحزن العميق ويغرق في لجج من
الآلام فتهدده هداً وتحطمه تحطماً ، فهو اول ما بدأ يفكر حين استحکم

الحب من قلبه وتغلغل في نواحي قلبه بصغوبة واستحالة الزواج منها
فهو يعلم علم اليقين ان خالته ستثور في وجهه اذا هو فاه بحرف يتعلق
بطلب يد ابنتها وانها ستبعده عنها وتمنعه من المجيء اليهم . لانه فقير
لا يملك من حطام الدنيا غير راتبه البئس . وانها لم تفكر في يوم
بامر مثل هذا ، فلا تزوج ابنتها الا من رجل غني ثري ذي مركز اجتماعي
عال وصاحب وظيفة محترمة في الدولة ، والا فان ابنتها ستبقى عندها
ماشاء لها ان تبقى اذا لم يكن العريس كما تريده هي وكما يصوره لها
خيالها ، لذلك اضطر الى ان يكتسب حبه في قلبه ويغالي في الكتمان
وقنع بهذه النظرات البريئة والابتسامات العذبة ليعيش في عالم الرؤيا
ودنيا الخيال وصار لا يخلو بنفسه الا ليثبت القلم بين انامله ويغرق
في الكتابة ، يناجيها على البعد ، ويدبها حنينه ويبعث اليها بطراجه
في الفاظ منمقة وعبارات عذبة ، ونفس ملتهبة وخيال متقد . فيجد
بعض الراحة في الكتابة هذه ويجد بعض السلاوى .

وفي يوم وبينما هو عندهم ، لحظ شيئاً غير عادي ، شيئاً لم يالقه
من قبل . فقد سمع حديثاً يدور بين خالته وزوجها كالحديث الذي كان
يدور بينها وبين امه حين هموا بزواج اخته واطراق بطول وكآبة
ترسم على وجوههم . واستطاع ان يعلم من سقط الحديث ان
شاباً في الحي الذي يسكنونه قد تقدم لخطوبة ابنة خالته وان زوجها
قد وافق على هذه الخطوبة وان خالته قد مانعت في ذلك مانعة شديدة

لأن الفتى وان كان له بعض الثراء الا انه ليس له عمل في الحكومة
وانه يعتمد على تراثه الذي خلفه له ابوه ينفق منه مايشاء . ان اول
شرط تريده خالته من الذي يتقدم بالخطوبة الى ابنتها ان يكون
ذا منصب محترم في الدولة وهذا ليس له اي عمل في الحكومة ومعني
ذلك ان الخطوبة يجب ان لاتتم وان القران لا يكون ، فهي كانت
تثور مرة وتمهداً اخرى ، وتسب وتلعن حتى علم ان الفتى قد رد
طلبه وخيب مسعاه وان خالته هي التي ردت به ومنعته بالصلافة التي
اظهرها والمنع الذي اصرت عليه .

لا تدري اذا كان عادل قد فرح لفشل الفتى ام لا . . ؟ لأنه يعلم
اذا سولت له نفسه في يوم وتقدم الى خالته لطلب يد ابنتها فان
نصيبه سيكون نصيب الفتى هذا بل اشد واعنف لان الفتى يملك
بعض الثراء وهو لا يملك اي شيء . واذا كان قد فرح حقيقة فلان
المجال قد اتسع له وطال امد النظر الى ابنة خالته والتمتع بمشاهدتها
مدة اطول .

مضت اشهر على الحديث هذا وانتهى عام كامل لفراقه لأمه عانى
ماعانى فيها من عنت الايام وقساوة القدر ونجهم الليالي ، ولولا وجود
بيت خالته ولولاها هي وتعلله بالاماني وتحليقه مع الاوهام لانتهى
به الحال الى الجنون المحتم والخلبال الاكيد ، فهزه الشوق للذهاب الى
امه وعاوده الحنين اليها ، فعزم على السفر اليها والمسكوث بضعة ايام

ليتسلى برؤية اهله اولا وايهدي، النار المستعرة بين جوانحه وايرح
اعصابه التي انهكها التفكير وهدها الاطراق المتواصل . فحقب امتعته
وسافر . ومكث هناك بضعة ايام ثم عاد ليكتب في مذكراته ويقول .
« ذهبت اليهم وباليتمنى لم اذهب . ذهبت بتلك القوة من المهفة

والشوق ورجعت بقوة اخرى فيها معنى الالهال والهجران . ذهبت
لارى اى التي فارقتني يحفزني شوق سنة كاملة . ولكن واأسفاه
لاني ما وجدت تلك الام التي فارقتها . انها ماتت لا . معاذ الله ، انها
لم تمت ، انها حية ترزق ولكن الذي مات فيها هو همورها وحنينها
بل لقد مات قلبها . فعجبت وقلت : اين هذه السرعة قد انتزعت الايام
من قلبها حب ولدها وحنينها له واحمى من ذاكرتها كل شيء مرة
واحدة . كان الله لم يرزقها غير ابنتها تلك . »

« ذهبت بقوة ورجعت بقوة . وشتان بين القوتين . وشعرت فيما
بعد ان تلك الدموع التي كانت تذرفها لم تكن — كما كنت اخل —
دموع المنبعثة من قلب مفجوع مكوم وانما كان حزناً اشبه ما يكون
بحزن تلك الفتاة التي لطمت خدما وشقت جيها ونفشت شعرها
واسالت دموعها ومشيت وراء جنازة تبكي وتولول . لاحبا بالميت
وعظفاً على من تركهم ولكن لاظهار حسنها ومفاتنها . الا ما احبه
تلك الدموع بهذه فانها وان اختلفت في الصورة الا انها لا لعقوان
الخداع والمخاتلة . »

« ذهب اليهم فوجدت البدانة ظاهرة في اجسامهم والدم يترقرق
في وجناتهم واعدت النظر الى نفسي فاذا بي كالعود الجاف ليس في
شيء غير الجلد الذي يلف العظم لفاً بغير هندسة او تقسيم . وقات لها فيما
قلت ان يكفي البقاء مع ابنتها طيلة هذه المدة وان عليها لابنها بعض
الحق من الرعاية كما لابنتها على حد سواء . واستعظفتها ان ترجع
معي لنعيش كما كنا وشرحت لها سوء العيش الذي اقاسيه والحياة
التي احيائها . وقلت لها ان هي تركتني مدة اطول فان الحال سينتهي بي
الى عاقبة تلام هي عليها وتندم . فان الوحدة التي اقاسيها ستنتهي
بي الى الجنون المحتم . وكاني في كلامي ذلك كنت اخاطب شـبـحاً
لا يسمع ولا يعي . وابقنت انها لم تعد امي واني نزع من قلبها البتة »
« وكنت انظر واشعر ان قلبي يتمزق ويتقطع قطعة بعد قطعة
من وطأة الحزن والالم . وكنت اخلو بنفسي وافكر طويلا وابكي
ابكي لاني لا ادري ما انطوت عليه نفسي من ظلمة وحسرة ، وما تخبؤه
لي الايام من آلام واحزان ، فانا ما اكاد افاجيء بواقعة او بحزن او
بالم وما اكاد اروض نفسي على نسيانها الا واصاب باخرى اشد منها
وارسخ . والبعض حين يتطلع الى حقيقة يحجلها يهش لها ويضحك
لانه كان في غفلة عنها . ففرح لانه علمها . . بيد اني لا اتطلع الى
حقيقة اجعلها حتى ابكي لها واحزن واقول : يا ضيعة الايام التي
قضيتها »

« ولقد شعرت بعد رجوعي من هناك بأني أصبحت انساناً آخر
غير الانسان الذي ذهب . اهيج لاتفه الامور واغضب لاذنى سبب
وقد يبلغ بي الهياج والغضب الى ان اسب واشتم كل تلك الانفعالات
انما هي من شدة تعاقب الصدمات التي ارتطمت بها والتي اتخوف من
الارتطام بها . . »

بكي عادل ما وسعه البكاء وذرف من الدموع ما علم الله ..
فمن حقه ان يبكي ، ومن حقه ان يذرف الدمع ، فها هو ذا قد فقد امه
ومعنى ذلك انه فقد اصدق عطف في الوجود فحافظته الاحزان من
كل جانب ولم تدع له مجالا وغدا كالتائه في بيداء فقر لا ظل يحمي
به ولا ماء يبل ظمأه . وفي اثناء هذه البلبلة الفكرية وفي اثناء هذه
الثورة من الاعصاب بدأت تداعب رأسه فكرة . لا يجرأ النطق بها
وكأنها طيف يلوح له ويختفي ففكرة تدفعه بان يتقدم الى خالته ويطلب
منها يد ابنتها فليس الذي تطمع فيه خير منه غير انه فقير ومتى وقف
الفقر مانعا بوجه الحب ؟ انه يحبها وهذا يكفي فيستطيع ان يقدم لها
ثروة من الحب لا تفنى واشتدت الفكرة هذه وضوحا واحتلت مكانا
من رأسه فهي ما تنصرف الا لتعود تحميه وتدفعه وحاول مراراً ان
ان يقوه بكلمة فيخونه النطق ويستولي عليه الذهول وهدة الفكرة

هذه الى الكتابة يشرح خالته وزوجها حقيقة امره ويعلمها برغبته
لو ليكن بعدها ما يكون فلما السعادة التامة او الشقاء القاتل ٠٠ انه
سيقول لهما انه « يجب ابنتها ويخطبها » وهل في ذلك جريمة ومتى كان
الحب جريمة ؟ فانتحى ناحية واخرج ورقة وكتب لهما فيها كل شيء
ثم ابردها في البريد وامتنع من الذهاب الى بيت خالته ايرى رأيا فيه
ولقد جاء بعدها زوج خالته ، ولامه لتسرع في العمل هذا ،
وافهمه صعوبة الزواج منها وذلك لشسع المسافة التي تفصل ~~احدهما~~
عن الآخر وطلب منه ان يتناسى كل شيء ويذهب ويحبي اليهم ~~كاتب~~
عهده كأن لم يحدث شيء ٠٠ اذعن عادل وطلب منه الصنفح وذهب
لى بيت خالته وقلبه يعلو ويهبط ونفسه تضطرم بشتى الانفعالات
وكان قد هيا في نفسه كلاما يحبيهم به اذا سألوه عن شيء ولسكن
الذي اذهله هو جهودهم والتجهم الذي قابلوه به اما هي فانها ما كادت
تراه ويقع نظرها عليه حتى ألوت رأسها بسرعة ويمت نحو الحجرة
ودخلتها ، ولم يدم مكوته عندهم غير بضع دقائق قام بعدها وخرج
على ان لا يعود ثانية

ومضت أيام وأسابيع ولم يخطر بباله ان يذهب اليهم وجعل
يعمل نفسه ويحاورها ويقول لها : « هي انها تجهمت بوجهي وهى
يا نفس ان حبها ذاك كان خداعا ومكرآ وان القصد من بساتها لم يكن
غير التغرير بي والضحك على فتي فتح قلبه لطفلة لا تدرك ولا تعي

قلت لنفسى هي ذلك فلا أحبها حباً خيالياً . لا تذكرها فاستوحى من
ذكرها كل شيء يبعث الهماء لقلبي .. لا ناجيها ولا صغ من مناجاتها
الآيات لانها كانت مهبط غرامي الاول .. « ولا عجب حين
وجد من الصعب بل من المستحيل انتزاعها من قلبه ، بيد ان
اليأس اماته وهذه الضعف وصار كالمنحنون لا يدري ما يعمل
ولا الى اين يتوجه .. ووجدته بعدها زوج خالته والحدرد
معاتباً اياه لعدم الذهاب اليهم فوعده ولكنه اخلف .. وجاءوا
هم اليه ، وعيي في تعليل التجهم الذي قابله به وهذه الزيارة
التي يزورونه بها .. وذهب في تفسيرها كل مذهب ولكنه لم
يهتد الى حل .. وألحوا عليه بالجيء اليهم فذهب يدلف متردداً
تارة ومستحثاً اخرى حتى وصل ودخل وألقى اليهم التحية
فردوا والابتسامة تملو شفاههم .. ووقف لم يحرك ولم يذبس
الا ببضع كلمات سألهم فيها عن صحتهم وحمرة الخجل تصبغ
وجنته . وطلبوا منه الجلوس .

أما هي .. فانه لم يجدها حين دخل الدار وحسبها خارجها
بيد انه ما لبث حتى سمع صوتها فعلم انها فوق سطح الدار ..
ومضت عدة دقائق ولم يرها فأيقن انها تهرب منه وتتحاشى رؤيته ..
ولم تكن لها حيلة غير الفرار من امامه والاختباء اما في الحجرة
او السطح .. ولربما ادركت قبج نظراتها تلك التي حددجته

بها فهربت كأنها لا تريد رؤيته ومن يدري لعل أمها هي التي
امرتها بالهروب ومن يدري أيضاً فاعل نظراتها الشذراء تلك
كانت بوحى من أمها أيضاً . . وما حيلتها هي غير الاذعان
لما يقولونه لها

وكان في اثناء وجوده عندهم يفكر في كل هذا ويعجب
غاية العجب من مقابلتهم تلك وأمرها بالهروب منه وتبدلهم جملة
واحدة وهو لا يدري هل ارتكب بفعلته تلك جريمة لا تغتفر ؟
فانكروها عليه وهولوها وعظموها . . ؟ وهل ان خطوبته لها
حكاية ابت عقولهم ان تحملها ! هو قريبهم . . وهو لا يعلم
أي فرق بين ابنتها وبين ابن اختها ثم ما الذي دعاه الى تجاسره
ذاك وطلب يد ابنتهم غير العطف الذي أحاطوه به والرعاية التي
قدموها له والحنان الذي اغدقوه عليه ، وحسب انه وجد أهلاً
يرعونه بحمايتهم وعطفهم وحنانهم بعد ان فقد جميع أهله ومحوهم
من تاريخ حياته ثم أي شيء كانوا ينتظرونه منه أو منها وهو يتعرع
بين أحضانهم وينمو وتسير هي مع الزمن فتشعب وتنضج وتكتمل
انوثتها . . ان الفرد اول ما يقع نظره من الناس فعلى قريبته
وكذلك هن . . فكيف كانوا يتعاملون عن ذلك أو يتجاهلون
كل شيء ، حتى تتحكم في قلبه وتستحوذ على مشاعره وتبادل
الحب باختلاس النظرات وتبادل البسمات ثم تمر الايام واذاها

يهبجان شخصا واحداً يبكي في الدجى اذا انسرح في مخدعه
ولا يستطيع النأي عنها

اطرق بفكر في كل هذا وانتظمت الذكريات في رأسه فآلمته كثيراً
وشعر انها تحز في نفسه وتقطع قلبه . وكلما اطرق يفكر فيما انتهى اليه
تمنى لو انه مات قبل هذا ولا يتحمل هذا العذاب .

ومهما يكن فانه ان سمح للذكريات تداعب رأسه واطلق خياله
يسبح في عالم ايامه مية فليس هو الا صدى لذلك الحب الذي
يتجاوب في انحاء قلبه . وانه ما يكاد يتمخيلها بفكره او يعرض
له اسمها صدفه حتى تستولي عليه نشوة من بقايا ذلك الحب .

ومضت برهة من الوقت وهو يعرض على مخيلته هذه
الصور المختلفة الالوان والاشكال واضطرت والدتها لمناداتها
لكي تقوم باطعام اخوتها الصغار وجاءت ولكن بعد ان يج
صوت الام من النداء . اقبلت وبحضنها اخوها تلاعبها
وتلاطفها ولا تحول بصرها عنها . وقد تعمدت ذلك حتي لا يقع
نظرها عليه . وبقي كالمذهول مما يرى ، فلاحو يعي الذي
يحدث او يدرك الذي كان . وراح يختلس النظر اليها بين
الفينه والاخرى وشد ما اذهله حين رآها هي الاخرى تختلس
النظر اليه . وطال النظر واطالت هي . غير انها اغضت
بصرها واطرقت فرأى بوضوح سمات الحجل والاستحياء

ترسم على وجهها . وما كان في هذا اليوم غير هذه
الاختلاسات . وانصرف على ان يعود اليهم في اليوم الثاني
وعاد ، وتكرر ذهابه اليهم وعاد الكلام بينه وبينها رويداً
رويداً ولكن فتوراً نسبياً كان لا يزال متغلّباً عليه وعليها . فلا
هو فاتحها بامر او كاشفها بسر ولا اعاد على سماعها اية نعمة
من حبه الذي هو في دور الاحتظار ، ولا سمع هو الآخر
منها اية لفظة . حتي ولو كان في خلوة فان احدهما لا يجسر
ان يقول شيئاً سوى كلمات تخص الاطفال . واذا جرهما
الكلام فلا يتعدى امها او اباهما . حتي ولا كان يدور
بخلده ان يفتحها بأي شيء او يلومها او يعاتبها . ونود ان
نقول هنا ان الود الذي كان بينه وبين والديها قد اصابه الفتور
ايضا ، فقد كانوا يتكفون المجاملة ويتكافأ هو ايضا وما عاد
ينام عندهم وما عادوا يلحون عليه كما كانوا يفعلون سابقا
باغلاق للباب ومنعه من الخروج حتى صار يشعر ان ذهابه
اليهم اصبح اسراً لا يطاق . وحسب من المستحيل الرجوع الى
ما مضى من الايام . وكان يقتصد الذهاب اليهم ولو انهم كانوا
يطلبون منه الجيء باستمرار وكان يعلم انها اقوال يقال
للمجاملة فقط او ليشعروا انه لا زال اثراً عندهم . وكـ

كان يود ان لا يتكلفوا النطق بها لانه يعلم يقيناً ان لا تنفع بها
ولا جدوى .

وكثر هذه الهواجس وهي هواجس بدأت تؤذيه أكثر من
غيرها لانها هواجس تشهره بشيء من الذلة أو شيء من الثقل الذي
لا طاقة له على تحمله ، ولقد جرب أن يصرفها من ذهنه فلم يطق لان
الذين يستثقلون ظله ليسوا أجنباً واغراباً ليسهل انصراف ذهن
عنهم وإنما هم أهله ، هي الخالته التي تقوم مقام امه بعد ان أنكرته امه .

ودارت عجالات الايام واذا بهم ينتقلون الى خارج بغداد
 فاحتقبوا امتعتهم وهياؤا انفسهم وباتوا للسفر ، وسافروا في اليوم
 الثاني . وقبل سفرهم اودعوا له امانة طلبوا منه اداها ففرضي على
 مضض ، غير انه شعر بثقل هذه الامانة وصعوبة اداها وكتب اليهم
 كتاب يطلب فيه ردها فلم يستلم جواب . وحل العيد فرأى الفرصة
 ساحة للذهاب اليهم ورد الامانة اليهم ومن ثم الرجوع وقدر رواحه
 ومجيئه بيومين فقط . وهياً نفسه وذهب ، وهو في طريقه الى هناك
 عادت صور الايام الغابرة تمر امامه مرأ منتظماً كأنها شريط سينمائي لم
 ينقص منه شيء . فكان يتحرق على تلك الايام ويعجب كيف انها
 مضت . وكيف ذهب حلوها وبقي مرها ، والاعجب ان هذا المر
 يزداد كلما فات يوم عليه ، وما شعر الا والسيارة تجوب في البلدة التي
 هم فيها ، فانتبه الى نفسه واستجمع ما تشتت من فكره وارسل آهة
 عميقة وصمت . يرجى السائق ان ياخذه الى الدار الموصوفة . ووقفت

السيطرة ونزل ، غير ان الذي سمره في مكانه واعمى بصيرته وشت
فكره هو وجود الفتى الذي تقدم بالخطوبة لها ورد طلبه وشعر بالالم
يخز في قلبه والغيرة تسري في دمه وتغنى لو انه بقي في محله ولا يكلف
نفسه رؤية منظر تشمئز منه ، وسيدر بصره وما عاد يرى شئ
فدعاه زوج خالته مرحباً بقدومه فنظر اليه ملياً ثم دلف ببطيء
وحياهم بفتور ، ولم يجد احدا غيره وذلك الفتى وعلم انها خرجت مع
امها لزيارة بيت من اهل البلدة وجلس وهو ساهم مطرق لا يدري اذا
تكلم معه ام لا . . وخيم الظلام واسدل الليل ستائره واقبلتنا فتبسمت
خالته وتبسمت هي وافترت شفتاه عن ابتسامة مغتصبة وسألوا عن صحته
وصحة اهله وهل ورد منهم كتاب ، فاجابهم بكلمات مقتضية وما زاد
شيء على ذلك . وعبثاً حاول جمع شتات فكره المبعثر وعبثاً حاول
اخفاء اضطرابه ، ولا حظوا عليه ذلك وليكن منهم سكتوا . وقدم
العشاء فاكل قليلا دون شهية ثم قعد مدة فالتقى الفتى يكر راجعا الى
بغداد بسيارته وطلب منهم الاذن بالمنام فاذنوا له ، وقام متثاقل وحين
اوى الى الفراش اطلق الدموع وبدأ يبكي ثم شعر ببعض الراحة
فاغمض جفنيه وغفى .

وعلم في الصباح ان زيارة ذلك الفتى لهذه البلدة كانت بناء على
طلب دعوة وجهت له بمناسبة ختان احد ابناء وجهاء تلك البلدة
وكان زوج خالته هو الآخر من جهة المدعوين فالتقى بخطيب ابنته

هناك واصطحبه بعد ان ارفض الجمع الى الدار ليمضي بعض الوقت ثم
يرجع الى بغداد . ولم يبق هناك غير يومين على رغم الحاحهم عليه
بالبقاء ورجع الى بغداد وهو في اشد حالات الضعف والخور وكان
يردد في نفسه قائلاً بقايا حب قديم لا يلبث ان يزول .

وجاءت خالته ومتملقوها الى بغداد ونزلوا عنده . فوسع لهم
صدره ورحب بهم ونسى كل احقاد الماضي وقام لهم بما يقتضيه
الواجب ، فما تسكسل في امر ولا تتعاص في طلب ، ومع ذلك كان
الفتور كان لا يزال بينه وبين الفتاة ملحوظا ، وكان يشعر على رغم
وجودها بفراغ قلبه وعدم التفكير بها ولا يدري كيف وكانت
صدفة حين وقع نظره عليها وراها تنقسم وبالرغم منه انفرجت شفتاه
هو الآخر عن ابتسامة خفيفة وكانت هذه الابتسامة بمثابة باب
لتبادل النظرات والابتسامات فيما بعد من جديد ، وشعر ان قلبه
يهب من رقاده ويفتح عينيهِ ، وايقن ان الجذور لازالت باقية ولا بد
انها ستتمو وتتفرع من جديد ، غير انه كان يغض النظر ويصرف
نفسه في جهة اخرى حين يحس بنزوة ينزوبها قلبه . ومهما يكن فالحب
كان اقوى منه اثرآ في نفسه وقد بدأ يلعب دوره بامعان . ولم
تمكث الحالة وابدتها غير ايام قلائل ثم رجعا الى بلدهما . واعقبت زيارتهم
بغداد زيارة اخرى بعد مدة ونزلوا كذلك عنده وقام كذلك لهم بما
يستطيع وما لا يستطيع من واجب الضيافة والخدمة وحين ازعموا

على الرجوع دعوه الى زيارة بلدهم بقصد التنزه والحو عليه.
بمصاحبتهم فسافر .

ويا ليت له لم يسافر معهم ليرى بعينه ما يחדش غرة نفسه او يجرح قلبه ، وكانوا في دعوة عند جماعة من المسيحيين ، والمسيحيون لا يقيمون وزنا لا اختلاط الجذسين ولا يرون ضيراً من مراقبة الفتى للفتاة او مراقبة احدى الجالسات ان كانت تحسن الرقص ، ولا يرون بأساً اذا تكلمت الفتاة مع الشاب وان لم تعرفه من قبل بدون ان يقول لها احد عن أي شيء تكلمتما وفي اي حديث كنتم فيهذه وغيرها امور مألوفة لديهم لا يتحاشاها أب ولا تثير حفيظة اخ ، ولا عجب حين شعر بثقل الزيارة هذه ، فليس هم بالمسيحيين ليجاروهم في عاداتهم ولا اولئك بالمسلمين ليتشبهوا بالوقار والجلال . . . وقدموا لهم ما كان متوقعا ان يقدموه ، قدموا لهم الخمر . . . وابتعن انه ان رد الكأس فسيكون في نظرهم انساناً وحشياً رجعيلاً لا يحسن معرفة الاصول المألوفة والعادة المتبعة ، فأخذها وجعل يحب ما فيها . . . وسرعان ما افرغها في جوفه ، وقدمت له كأس ثانية فتناولها بغير تردد ، وكانت خالته تصوبه بين الفترة والاخرى بنظرات منعمة بالحنق والغضب وما كانت تصدق انه يحتسى الخمر ، وكل ظن انها لم بتناول الخمر قط . . . ولم تمس الكأس شفثيه . . . ثم انها ما كانت تريد ان يتعود شربها . . . فاستحسن

منها ذلك غير انه لم يعبأ بها وكان يتجاهلها ، ولم تطق صبراً
لتجاهله اياها فلم تلبث حتى دعتة اليها وكانت تجلس مع اهل الدار
وقد انكرت منه فعلته هذه واخذت تقدم اليه النصيح والشرر
بتطايير من عينيها وكانت تتمنى لو ان بإمكانها لدقت عنقه ولاهبت
جلده بالصوت ، واكتفى بان هز لها رأسه وخرج وقد زاد ذلك
من حنقها وغضبها ، ومشى مدلفاً نحو الباب وحين سألوه الى
اين لم يجب بشيء وخرج

ومشى ببطء وهو ساهم مطرق وشعر ان ثقلًا جائئاً عليه
يحاول ابعاده فأطلق السيل لمدامعه وجعل يبكي وبكى طويلاً وهو
يسرى في الظلمة محاذياً الارصفة واي وسيلة عنده غير البكاء والحق
انه ما كان يهدأ أو يسكن حين يلم به هم اذا لم يذرف الدموع
وببك حتى ان عينيه قد ألفت الدموع فلا عجب اذا احمرت
ماقيه وترك أثراً لا يزول بانتهاء الدموع

ووقف يحددج في الظلام الذي كان يهيمن وكان لا يحس
فرقا بين الظلام الذي يحددج فيه وبين الظلام الذي في قلبه فهو كان
يتخبط في تلك الدياجى عله يهديء نفسه من اضطرابها وقلبه كان
يتخبط في تلك الدياجى ليهدأ هو ايضا ويسكن وطال وقوفه في
مسافة لاتبعد كثيراً عن الدار ولم ير الا الفتاة تخرج فتلقي نظرة نحو
اليمين واخرى نحو الشمال كالتى تفتش عن شيء حتى وقع بصرها

عليه فشى مدلفا نحوها واقتربت هي ايضا منه وامعنت النظر فيه
فرأت اثرأ لا زال باقيا من تلك الدموع التي ذرفها ولم تلبث حتى
قالت : —

— ما بك ؟ لم لا تدخل ؟ . . ؟

بيد انه لم يجب واكتفي بان هزها رأسه وما كان يستطيع النطق
بكلمة واحدة ، وسألته ايضا بوجهها عما به فافهمها بوجهه ان لاشيء
ولم تطل حتى ألوت رأسها وذهبت . ولا يدري ما كانت تقوله في
نفسها ، ثم لا يدري هل انها رقت لحالته تلك ام انها هزأت منه
واتهمته بالغباوة والشذوذ في الاخلاق . اذ لم يكن ذلك الوقت وقت
بكاء ونحيب ، ولا هو وقت تفكير باشياء تجلب الحزن الى النفس
وانها كانت طيلة الوقت فرحة مسرورة طلقة المحيا بسامة الثغر تضحك
وتمرح مع اخت صاحب الدار التي اتخذت منها لها رفيقة وخدينة
وجعلت تلك تشاركها الضحك والسرور والتفرج على الازهار
والاشجار ، ولا يظن انه نال من قلبها شيئا وهي كانت في غنى عن
كل شيء منصرفه عن الماضي والمستقبل ، وكانت بنت ساعاتها كما
يقولون ، وما كانت تجد غير الضحك والرح اما هو فليقتل نفسه
بيده وليسقها رويداً رويداً الى القبر ويجعل من الايام ترابا يتناثر من
حفرة القبر . ومن الذي يقول له احسنت . ؟ لا احد . لا احد ابدأ
ولكن ما حيلته ونفسه انطبعت على الحزن والألم . وسمع نداء يردد

اسمه وانصت عله يتبين الصوت واذا هو صوت خالته . وكان قد هدأ
بعض الهدوء وزالت من على وجهه علائم البكاء ، وما كادت قدمه
تخطو باب العتبة حتى تبسم لهم وصار يتكلم الانطلاق والبهجة كي
يخفي آخر علامة من علائم الحزن ولكي يشعرهم بان نفسه غير منقبضة
وما كاد يطلع عليهم حتى سأله .
— اين كنت . . ؟

فاجابهم والابتسامة كانت لا تزال تعاو شفتيه : لقد غشيت قليلا
طلبا للهواء الطلق .

قالوا : عجل من امرك ارجع . ورجعوا . فذهب ترواً الى فراشه
وانطرح عليه حيث استأنف البكاء من جديد حتى غلبه النعاس فنام
وفي اليوم التالي لزم طريقه الى بغداد وهو في اشد حالات التأثر
غير انه اخذ يهديء نفسه ويصبرها ويرجو لها السواون . وبعد ركوبه
السيارة ، وبعد ان سارت بهم مسافة من الطريق بدأت الدموع تنهل
من جديد بغير ارادة منه فلفت اليه ابصار الراكبين معه وقد حدثت
فيه عيون الركاب وكان لكل تحديقة تفسير . ولا يدري ما كانوا
يقولونه في سرائرهم ولم يعبا بهم واسترسل في البكاء حتى شعر بهدوء
يعود الى نفسه قليلا ومسح بكمه قطرات الدمع المتألقة في ماقيه
وصار يضحك .

ومضت الايام تدور والحوادث تتتابع كان منها الحلو ومنها المر
الا ان المر كان يشوب هذه الحوادث والامور أكثر من حلوها ،
فالنكبات تتتالى والشقاء ينهال والظلام يهيمن ، فما يتخلص من امر
حتى يقع في آخر ، وما يرحزح نكبة حتى تحل اخرى ، فمن نكبة
الى شقاء الى ظلام الى حزن الى دموع لا تنقطع . ولا يدري اين
مخبأ كل هذه الآلام وكل هذا الشقاء لتتجمع كلها وتنصب عليه مرة
واحدة حتى أماته اليأس وبات على غير امل من هذه الحياة ، وما
اقسى الحياة اذا غضبت على شخص .

اجل لقد راحت عجلة الايام تدور والحوادث تتتابع وليسكن
خيالها لم يرض ان يروح ويزول عن مخيلته ، وكثيراً ما كان يراها
في الحلم وكل رؤيا كانت تترك في نفسه اثرا لا يزول وفي قلبه حنيناً
يتضاعف . . . وعمر الايام فيتناسى الذي رآه ثم يهدأ قليلاً غير ان
الرؤيا هذه لم تكسف بترك اثرا في نفسه وحسب الا انها جعلته يهيب

من رقاذه بنمكر ويعيد على خيلته مارآه ويبكي . « رأى كأن امها
قاعدة في كنف امرأة لم يتبين ملامحها بوضوح تشكو اليها ابنتها
واصرارها على حبها اياه . وهي ماضية في افهام المرأة بان لا فائدة فيه
لأنه لم يبلغ في الحياة الدرجة التي يحق له بها الاقتران بابنتها وعلى
رغم سردها على المرأة معنى فشله واختفاقه اخذت تسوق لها حوادث
الطفولة وطيشه فيها ؟ وعلى بعد من امها والمرأة التي تتسمع شكواها
كانت تجلس ابنة خالته وقد رآها ترفع يديها الحذاء وهي تحاول ان
تقذف به امها وقد كررت قولها عدة مرات وهي تقول . . كذبت
كذبت . . وهو واقف خلف الباب يراهم ولا يرويه ، وما سمع الذي
قالته الخالة حتى دنى نحوها وعاتبها على قولتها تلك وقال لها : ان ذاك
هو طيش الطفولة وليس هناك طفل يخلو من عبث وطيش وانصرف «
واستيقظ من نومه فجعل يعيد على خيلته ما رأى ويجسمه ويبكي
ونالت منه هذه الرؤيا ما لم تنلها اخواتها السابقات ، وخصوصاً
وهي تكذب امها والدموع تتألق في مآقيها وتقول لها كذبت . .
كذبت . . وتأكد من حبها له على رغم انه حلم ، وان لا عبرة بما
يراه المنام .

وبعد يومين من هذا الحلم جاء الجميع الى بغداد ونزلوا عليه كما
فعلوا في السابق وحين قام الى الشاي ليأتي به اليهم نادى الام اجتهدوا
وطلبت منها ان تقوم هي بصب الشاي وجلبه وكان قد شرع بصبه

في الاقداح فأخذت ابريق الشاي من يده لتفرغه هي وادنت رأسها منه . ولم يرفع عينيه اليها خوفا من ان يعتليه الاضطراب ويحاول خطف قبلة منها على غير اختيار منه فمسك بطبق الاقداح وهرب . وفي اليوم الثاني ذهبت الخالة وبعض من كان معها الى السوق لابتيا ع بعض الحاجيات وتركوه معها واخوتها في الدار ، فأخذت تخلق الوسائل لأخفاء اضطرابه والسيكي بيدورزينا هادئا ولاكنه اخفق . فها هو ذا قلبه يراها امامه فكيف يريد منه ان يسكن او يهدأ ويخفي اضطرابه ويقلل من نزوته واشتياقه ، فكلم كان يتمنى ان يلقي بنفسه عند قدميها ويسيل دموعا ودما ، ولكن انى لقلبه ذلك وهو محاط بهذا القفص الصدري . اما هي فقد لحظت عليه ذلك وصارت تبتسم .

يا للمسكين . . او تريد ان اصف وقع الابتسام في نفسه واثره في قلبه ، وكيف ان نفسه اخذت تطير في الفضاء وتسقط لتعلن عن سرورها ، وقلبه كيف كان يخفق ليعبر عن سعادته . بيد ان هذا السرور وهذه السعادة لم يدمان غير دقائق فترجع النفس الى حزنها لاستشعارها ان التي بيدها هناءه واطلاقه من الاسر لتبخل عليه حتى بكلمة واحدة . ولكن هل باستطاعة احد ان يامرها بذلك اذا لم تأت بمشيئتها ورضاها ؟

وفي المساء لحظت الخالة على وجهه الشحوب والهزال البادي على جسده فراحت تعظه وتنصحه بوجوب العناية بنفسه وقالت له : ان

ذلك يؤول الى سقامك واذا ممرضت فليس لك من يقوم بمواساتك
 وتمريضك ثم سكنت قليلا وقالت وهي تضحك . « لا بد انك عاشق
 وان عشقت بدعوك للسهد والسهر وانك تقضى الليل كله تفكر في
 عشيقتك حتى هزل جسمك واعتلاك الشجوب وهي من علامات
 العشق ، بينة واضحة » ثم زادت من ضحكها واجهرت بالسخرية
 منه فتحرق غيظاً وكاد يخاشنها الكلام ولكننه سكت . وسكنت
 هي هنيئة ثم قالت وللضحك يهز جسمها « لا بد انك لم تدرك ما هو
 العشق او انك تفكر به كما كان يفكر به اسلافنا القدامى بقاويهم
 السليمة والقناعة التي كانت تغلب عليهم اما الآن فليس هناك شيء
 اسمه العشق واذا وجد فانه لا يعتمدى الدراهم التي يملكها العاشق
 وكذلك انت فاذا كان لديك شيء من الدراهم فقد تعشقت كثيرات
 والا فلا تنجم نفسك في اتون مستعر لا يحترق فيه غيرك . فاذك
 لن تحظى من تلك الى تذيب نفسك من اجلها بغير ابتسامة ملؤها
 الهزؤ والسخرية . . »

وهم بان يقوم فيقبلها ولكن الحياء قد اقعده فقد كانت الحقيقة
 فيما قالت ، وهي ان تسكمت فأنما تسكمت عن نفسها وعن ابنتها
 لتصرفه نهائياً عن التفكير بها . والفتاة الآن تحسب انه لا بد من الذي
 تسول له نفسه بان يحبها ان يقدم عربوناً لهذا الحب . والعربون في
 عرفها هو ان يفرقها العشييق بالذهب ويسكنها قصر آنفخ ويلبسها

الحرير والدمقس ويضع لها خدماً يقبلون الارض بين يديها . ومن ثم
تفكر . هل من الضروري ان تحبه هي ايضاً . او تبدي له بعض الود
او تقتصر على حبه دون حب غيره . ثم تسائل نفسها : وما علي انا
حتى اقدم له الود هل اني قلت له تعال واطرح تحت اقدامي غرامك
ام انه جاء يتمرغ بعشيئته ورضاه .

* * *

هنالك قوتان تصطرعان في نفسه ، قوة تدفعه بعنف وغضب الى
المحزن والقصف والعريضة والضحك المتواصل من العالم اجمع واخرى
تمسكه بلطف وتحبب له الانزواء في ركن قصي بعيد عن العالم متجنباً
هذه الحيوانات التي تسير على هيئة الاناس . بعيداً عن الانفس وما
تطوي من شرور ، يسبح الدمع ليجد فيه السعادة ويبتعد عن ذلك
الذي يعصر عينييه ويخرج دموعاً ليقول لك انها شدة الالم والحق
انها من شدة المأساة والخداع . ولا يدري اي القوتين ستغلب على
الاخرى .

وفي احدى الامسيات جاء مخدعه وانطرح فوق فراشه كما يفعل
في كل يوم وهو مشمت الفكر مبطل الرأي . وكان قد اصابه ارق
منذ ما يقارب الشهر فكان لا بد ان يتقلب على الفراش ساعات طوالا
قبل ان يراود اجفانه النعاس . ولا نظن انه قد نام ذات ليلة قبل
الثانية بعد منتصف الليل . ولا يدري كيف وعلى غير عادته قد هب
من النوم في ما يقارب الساعة الخامسة صباحا وهاله ان يرى مصباح
الحجرة المواجهة مضاء . وادار رأسه ليتذكر فيما اذا كان قد نسي
اطفاء المصباح من اول الليل ولكنه تحقق انه قد اطفأه قبل ان ينام
وبقى في حيرة من امره واجتاحتته شتى الهواجس والخواطر . وصار
يتساءل في نفسه عن اضاء المصباح . ؟ فلا بد ان هناك لصاً يحاول
سرقة ، فجلس متربعا على الفراش واشخص ببصره الى الحجرة المواجهة
ولكنه لم يجرأ ان يقوم ليرى من هناك . ذلك لأنه لم ير في حياته
لصا ثم انه لا يملك أي سلاح يقابله به اذا اشهر هو سلاحه — وعلى

فرض ان هنالك لصاً حقيقة — فالاجدر ان يتبع مكانه وقد اباح
للص ان يأخذ ما يشاء ويذهب فاعترض عينيه وسحب الغطاء على
وجهه وقال .. فليعمل اللص ما يعمل .. ولكنه لم يرتح الى هذا
القرار فقال في نفسه : ان ليس من السهل ان انام هكذا وادع اللص
على مرأى من عيني يأخذ حاجياتي ويذهب وتحركت فيه الرجولة
واحس بالقوة تملأ نفسه والشجاعة تملأ قلبه فهب واقفاً كايهب الليث
متأهباً للنضال .. وبدأ يذب على اطراف أصابعه مختلساً الخطوات
خوفاً من ان يسمع به احد حتى لقد خيل اليه انه هو اللص وان
عليه ان يتحاشى ابقاظ صاحب الدار فوقف هنيهة واراد ان يصرخ
مستنجداً بالعسس والجيران وفتح فيه متاهباً للصراخ وشد ما راعه
حين شعر بالسكبات تتراجف هي الاخرى في حلقه وتأبى ان تخرج فلم
يذبت منه غير صوت ضعيف لا يسكاد يسمع او يميز لضعفه وحار ماذا
يصنع واستمد من ضعفه قوة فاذا بالشجاعة تثيقظ في نفسه من جديد
واخذ يزحف حتى وصل الى باب الحجرة وجمع قبضته ودفع الباب
بقوة وشد ما راعه حين لم يجد احداً هناك وزاد في عجبه حين رأى
الاثاث كله في محله لم تمسه يد ، والتي نظرة الى اعلى واخرى الى اسفل
فلم يجد اي دليل على وجود احد . وكان اليوم عاصفاً مترباً ولبت
هنيهة وهو مشدود مما يرى ، فجأة اسقط الهواء علبه تنك فارغة
الى اسفل فحدثت صوتاً مفرعاً حملته على الهروب والالتجاء الى

غرفته وسد للباب خلفه سداً محكماً ثم ارتقى على سريره وسحب الغطاء على رأسه واستيقظ حوالي الساعة الثامنة صباحاً وكان المصباح لا يزال يضيء فراح يفتش من جديد ، فصعد الى اعلى ونزل الى اسفل فوجد كل شيء كما وضعه لم تعبت به يد . وقص هذا الذي حدث على احد زملائه فقال له : لا بد ان جرذاً قد عبت بالزر فضاء المصباح وسواء اكان الجرذ يمكن ان يعبت بالزر ويضيء المصباح او انه هو الذي جلس في النوم على غير شعور واضاء المصباح من حيث لا يدري او انه كان قد نسي ان يطفئه من اول الليل . اليس هذا وحده كافياً لهزة اعصابه وتضعضع افكاره وتشتيت شعوره . وليس هذا وحده كافياً لخلق الوحشة في نفسه والكآبة في صدره ولجعله شاباً عصبياً شاذاً . اولست هذه الحادثة وحدها كافية لتقريبه من الجنون فكيف اذن هو في هذه السنين الطويلة التي قضاها وحده في هذه الدار الموحشة السكينة . والله يعلم وحده كم لوعة دخلت الى رأسه وجعلته في اكثر الاحيان يكسر هذا ويمزق هذا ويمت هذا . . . والله يعلم وحده كم مرة راح يلقى لسانه العنان ليتكلم وليس هنالك من يسمع ويهذر وليس هناك ما يستدعي الهذر فلي مجنون هذا . . . وقد نهق مرة ويوم وينبح اخرى وتضج تلك الصيحات حركات من يده او جسمه كآ . . . والله يعلم وحده كم هي الدموع التي ذرفها على تلك النخلة التي كان يتوسدها وينام .

وبعد هذا كله يريدون منه ان يكون انساناً كسائر الناس ولن
يظهر بمظهر المعافي السليم يهش ويضحك كأن الالم والحزن لم يرسم
فيه سماتها التي لا تمحى .. وينظر بعين متفتحة للجمال كأن الدموع لم
تحرق ما فيها ويستقبل الدنيا بقلب غض طري ليرقص ويفني كأن
اليأس والقنوط لم يعاركا في يوم ..

ابعد هـ - ذاك له يلام اذا خرج على النواميس المعتادة وخالف
طبائعها وعاداتها واخلاقها ... او اذا ظهرت منه بعض الشذوذ في
مبوله وطباعه ؟

ورأى اصدقائه ما يكابد ويعاني من الأم نفسية حادة فأشاروا عليه بالزواج وقالوا له : انك ان تزوجت ذهبت عنك جميع هذه الآلام التي تعانيتها وستتبدد عنك الهواجس وتزول من فكريك هذه التخيلات التي توجد بها هذه العزلة وهذه الوحدة في هذه الدار الموحشة ، ثم التي زادت فكرة الزواج في رأسه رسوخاً هذه العجوز التي كانت تتردد عليه بين حين وآخر لغسل ما وسخ من ثيابه وكس الدار وقضاء بعض اشغاله المطبخية ويظهر انه قد قبل هذه الفكرة لابل شغلت جل تفكيره حتى التجأ الى العجوز لتعطي له الفتاة التي اختارها له وارادت ان تزوجه بها . وهي على ما قالت : فتاة طيبة سليمة المنبت ، طاهرة النفس خفيفة ، تختلف عن باقي فتيات هذا العصر ، بسمه الاب والام تعيش في كنف خالتها او عماتها من وارد خلفه لها ابوها . وهي فوق ذلك ، جميلة الصورة ذهبية الشعر رشيقة القوام لاعبي بالمزولة ولا بالرابطة . تنبع من العمر نحو ثمانية

عشر عاما . ثم تمهل قليلا عن ارسال العجوز التي كانت تلح في انجاز
الخطبة وظل يتردد على رغم رغبته الملحة حتى جاءت الخالة الى بغداد
فراحت ابنة الخالة تبش في وجهه وتبتسم ولكننه كان يفض الطرف
عنها ولا يعيرها اهتماما لان فكرة الزواج من تلك الفتاة التي وصفها
له العجوز كانت قد شغلت بعض فكيره ولعل الفتاة احست بعدم
اهتمام هذا فراحت تستفهم عن اسبابه فقد عهدت مدحها بها مفترنا
وفي معرض الكلام مع خالته صارحها بانه قد ازمع النية على الزواج .
فارتسمت على وجوههم سمات الدهشة وطلبوا منه الايضاح . .
وحاول ان يفيهم حقيقة شعورهم في تلك اللحظة فلم يفلح . اما الام
فكانت تهزل مرة وتجد اخرى وتطلب ان يدها على الفتاة لنراها هي
وكانت نيرانها لا تملأ من هزو واستخفاف اما ابنة خالته فقد عجز ان
يقول عنها ان شيء . لانه لم يستلمع طوال هذا الزمن ان يعرف
رأيها فيه وحقيقة شعورها تجاهه . اعى تضمر له ودأ بود . ام ان
نظراتها تلك وابتهاماتها لا تتعدى الشفقة والمواساة لما يكابده وما
يدريها هي اي شيء يكابده . واي صراع كان بينه وبين الالام .
واي دموع كان يسحها . وكل ما يستطيع ان يقوله هو ان لوها
امتقع قليلا حين سمعت بخبر اقدامه على الزواج وان عبوسا ارتسم
على وجهها . وهو يعترف انه كان متسرعا في افشاء تلك الفكرة وما
كان الواجب الافضاء بها . كذلك يعترف ان التسرع صفة ملازمة

له في جميع اعماله وطالما اوقعه في اخطاء كثيرة وطالما ارتكب بسبب التسرع اعمالا تسكاد تكون صبيانية ، وقد يكون من العبث ان يحاول تصحيح خطأ وقع فيه فهو ان فعل وقع في خطأ آخر دون قصد طبعاً .

كم يتمنى لو تدري هي . او تدري امها . او يدري احد ماجره عليه هذا الهذيان من وبال . وما ذرف من اجلها من دموع . فانها ما كادت تسمع لغوه ذاك حتى بدأت تتجهوم في وجهه . وما عاد يحظي بتلك النظرات الخاطفة البريئة وغابت عنه تلك الابتسامة الطاهرة . وفي اثناء اقامتهم عنده ثاب اليه رشده ورجع الى صوابه وشعر بفداحة الغلط الذي وقع فيه وعبثاً حاول ان يستعيد عطفها بشتى الطرق فانها انصرفت عنه وراحت تهرب من امامه . وكل نظرة كانت تصوبها اليه يشعربانها سهام تتطاير فتستقر في قلبه وتمتد فيه .

وعلى غفلة سافرت الخالة وابذتها ومن معهم ونسوا بعض ثيابهم فتسرع في جمعها منتظراً قدومهم مرة اخرى . وما كاد يمسك ثوبا من ثيابها حتى تمثلها امامه فراح يمعن فيه النظر امعان الواله المجنون ودارت الدموع في اماقيه وانملت وصار يحش ويبيكي وربما رفع الشرب والى به على وجهه ولعله شمه بلهفة ليشم فيه رائحتها ويتخيل رشتها ونظراتها حتى شحبلونه وبان الاصفرار على وجهه وشعر بحمى

تسري في عروقه وقد لازمه سعال يسكاد يمزق احشاءه وطالما انطرح
على الفراش يتقلب يتقلب قلب السليم يئن ويبكي . . ولكن .
ولازم الفراش مدة اربعة ايام بلياليها لم يغمض له خلالها جفن
ولم يهدأ له جنب وعانى ما عانى من الآم مبرحة وحمى قاتلة . . نهش
جسمه دون رفق او هوادة والالام تصطرع في نفسه فلم تبق فيه
شيئاً . ثم حين بل رحته الحمى صار لا يستطيع ان يعيش بضع خطوات
حتى يأخذ الاغذية فيقف عن الحراك . . وهناك عزم على اللجوء الى
امه طالباً عندها الاستشفاء والاستجمام والتباعد عن ذكره سفر وسافر
فقضى عندها بضعة ايام ثم رجع وقد استعاد بعض نشاطه وعافيته
وكانت خالته قد انتقلت الى بغداد اثناء سفره لزيارة امه وقد استأجرت
لها داراً فكان اول شيء عمله بعد مجيئه من زيارة امه ان زار خالته
في بيتها الجديد وبقي عندها ساعات كان خلالها ساكناً صامتاً
لا ينس ببنت شجرة ولا يتكلم ان لم يبدأوا الكلام وان لم يسألوه
وكان يعاني في نفسه صراعاً عنيفاً وقد غادرهم وهو اشد ما يكون
تصميماً على مقاطعتهم والذي مكن هذا التصميم من نفسه هو انصراف
الفتاة عنه انصرافاً كلياً وياسه من رجوع مودتها اليه فقد الفاها
معرضة عنه او شبه معرضة فزاد ذلك من آله وشجعه على الانقطاع
وسرت ايام وهو يزدد عناداً ومغالبة لنفسه حتى اتى من عناده
مالاً طاقاً له على وصفه ونقد صبره وادرك انه غير قادر على تنفيذ

هذا التصميم فهو لا يطيق ان يتخلى عن ابنة خالته وهو لا يستطيع
ان يتناساها حتي وان نسيتها بل وان احتقرته .

ولم يدر الا وقدماه تسوقانه الى بيت خالته بعد انقطاع ~~هجرة~~
ايام فاذا به يطرق الباب بدون اختيار منه واذا بها تفتح الباب فتقع
العين على العين فتتهش في وجهه وتبش فيذوي كل شيء ولكسته حين
يدخل الدار ويسلم يجلس كالتمثال الاصم لا ينبس بحرف ولا ~~يحرك~~
طرفا، وكان هذا ديدنه كلما لقيها او قعد بالقرب منها يفقد ~~الطق~~
فلا يستطيع ان يقول شيئا وان تكلم فكلامه نبرات متقطعة
مضطربة ، ومع ذلك جراً على مداعبتها في هذا اليوم بشكل لا عهد
له به من قبل فهو حين شرب الماء ره منه شيئا على رأسها فتساقط
رذاذه على وجهها فغضت الطرف ولم تقل شيئا ، غير انها مرطبان ما
غافلت فبادلته الرش والقت على وجهه بقطرات منه فابتسم لها خديجة
بنظراتها وفي كل نظرة كانت تصوبها اليه كان يشعر بان قلبه يكاد
يقفز من بين ضلوعه وكان جسمه كله يتدل بماء بارد وحين ودعهم وخرج
شعر ان الحياة بدأت تدب اليه من جديد وان شعاعا من الامل بدأ
ينير له قلبه ويحي رجاؤه وحث الخطوات وهو يشعر انه يولد من جديد

كلما .. وخرج صاحبنا وهو يشعر أنه ولد من جديد ، وأحس
ان الحياة بدأت تبتسم له بعد طول عبوس لانه حظى بنظرة من
صاحبة بل انها داعبته ورشت الماء على وجهه ، وهذا يكفي ليطمئن
من انها تحبه وانها تضم له ودأ ..

وجعل يتردد اليهم بين الحين والآخر وفي كل مرة يذهب اليهم
ويرجع كان يكتب في مذكراته فيقول « نظرت اليها ونظرت الي »
ولا ندرى أية حكمة كان يجد في هذه النظرات ، ولقد سمعنا ان بعض
العشاق يتبادلون الحنين والشوق والعتاب والصلح والخصام والرضى
بالنظرات ولكنها نظرات تختلف عن نظرات صاحبنا ، ولقد سهر
صاحبنا كثيرا من القصص الغرامية وقرأ الكثير عن اخبار العشاق
ولكنه كان يعتقد بأن كلما قرأ كان دون ما يحس به من حب لابنة
خالته ، وكان يجد نفسه عيا اخرس أبكم حين يواجهها وجها لوجه
وكان حين يدفع الى الكلام دفعا يخرج الصوت منه مرتجفا يحس

بارتجاف، كل من يسمعه فلم يعد بإمكانه غير أن يمعن فيها وحين تتجه
إليه يطرق لانه لا يستطيع ان يجابهها . . .

يقعد بالقرب منها وينظر اليها . . ثم ماذا ؟ . .

لا شيء . . لا شيء غير ان تتلاطم العبرات وراء اجفانه ليسجها
دموعا سخينة بمجرد الخروج من بيتهم . . دموعا حرى يصبها من
ما فيه صبا . .

واند بدأ يشعر بتفاهة النظرات هذه بل انه بدأ بضحك من نفسه
واحتقرها ولعن الحب اذا كان من بواعث الحب الالهانة والحقارة
وذلل النفس وكم تمنى ان يكون بوسعه ان يعيد لنفسه العزة فليس
من الكرامة ولا من الرجولة ان يدع المرأة تهزأ به كأى معتوه،
مجنون هو ؟

يذهب اليهم ويقعد بالقرب منها ويمعن النظر فيها
ترى الى متى سيمثل على هذا النحو ؟ وما جدوى هذه النظرات
فسكر في ذلك وأطال التفكير وقرر ان يضع حدا لهذا الحب الذى
لا يهدف الى غاية . . .

انهم لا يريدونها له وهو ما انفك يحبها ويتمنى ان تكون له
فكيف العمل ؟

كان عليه ان يقول شيئا ولكنه لم يقل وكان عليه ان يقوم
بعمل ولكنه لم يقم ، وكان عليه ان يحب نفسه بمختلف الوسائل

الى عائلته والى زوجها واخيرا اليها ولكنه لم يبق - لان كبرياءه وعزة نفسه تأييان التذلل والخضوع وكلما فعل هو انه كتب ذلك الكتاب الذي قال فيه انه يريد ان يخطب ابنة خالته فسمع منهم ما يشعر بشيء من الازدراء وحسب في ذلك الخاتمة لحبه فيجب ان يكون الخاتمة لذه لقد فكر في كل هذا فاستخلص ان مبدأ حياته لم يخل من شذوذ وكذلك كانت نهاية هذه الحياة وان البيضة التي اخرجته ونشأته حتى شب وترعرع من ذلك الاب وتلك الام وفي وسط تلك الظروف الغربية وفي محيط غير ذي لون ثابت لا يمكن ان يخرج وينشأ فتى بشكل آخر غير هذا الشكل

لقد كان وقتا يوم كان طفلا حتى لقد لفتت وقاحته اليه الانظار ، وهو اليوم شاب حي حتى ليخجل ان يرفع رأسه الى الاعلى اذا ما واجهه احد او غريب لم يعرفه فكيف لو رآها هي بالله كيف ينشأ الضعف من القوة ؟ كيف يمكن ان يخلف ذلك التمرد والوقاحة كل هذه الوداعة والحياء

انه اليوم يستعرض حياته كلها من أنفها الى يائها فيعجب من نفسه ويدرك انه كان شاذا في كل مرحلة من مراحل نشأته فهل بوسعنا ان نختم هذا الشذوذ وببدأ حياة جديدة ؟

من الصعب ان يسير الانسان نفسه ما لم تكن له دوافع لهذا التغيير واين هي هذه الدوافع وقد كانت حياة فوضى وقد بدأ أبوه

هذه الفوضى حين كان شاذاً ولكن كثيراً من الحوادث المفاجئة
قد تحدث للانسان فتغير مجرى حياته فإذا به غير متصل بماضيه بشيء
وليس مفاجئة واحدة حدثت لصاحبنا جعلته ان يقعد ليضع حدا
لهذا الحب وانما هي سلسلة مفاجئات حدثت كلها متعاقبة واحدة اثر
اخرى جعلته على بصيرة من هذه الحياة واتاحت له التفرج على
كثير مما يحمل الناس وكان قبل ذلك جاهلاً كل الجاهل بالحياة بعيداً
كل البعد عن النفوس وما تحمل ، وهو الآن يستطيع ان يحكم ويوازن
وله رأي قلما يخطيء فقرر ان لا فائدة من هذا الحب وخيره ولهم
هو ان يبعدها عن تفكيره ليمت ضربات قلبه ويحمد خلجات نفسه
في عصر طغت عليه المادة ومات فيه الاحساس وانصرف الناس الى
التكالب حباً بالمال .

وان اليأس الذي دفعه الى هذا القرار كان هو اليأس النهائي لا
اليأس الذي كان يشعر به من قبل ، واحس بطبعه يرق وروحه تصفو
ولست ادري كيف يجعل لليأس الطبع يرق والروح تصفو فإذا به
ينزع الى الادب وقد عد نفسه سعيداً لأنه نسي حبيبته فان حبيبته
لا تنسى ولن تنسى وانما لان جميعته بحبه انارت له خفايا كثيرة كان
يجعلها وجعلت منه رجلاً

هو اليوم قد سبر كثيراً من كتب الادب وكتب بعض اللواضيع
ففي بعض الصحف وهو يمتاز بذكريات حبيبته ويعتبر نفسه سعيداً

بفضل كبير يرجو ان يكون هذا الفضل في المستقبل اكبر واكبر وذا
قائه ان يظفر بحبيبه عروسا لانه فتيرو ولانه حيي لم يحسن الاعراب لها
عن حبها ولم يحسن خدمة افكار خالته وزوجها فقد جعله الادب
ظافرا بخيالها يطالع وجهها في كل صفحة يقرأها فيستمد منه كل
القوى ليجعل عاطفته ارق ما تكون ومزاجه اكثر صفاء من صفحة
المرأة .

وهكذا كانت نهاية حبه ، ذكرى حلوة جميلة يستمد منها القوة
في انتهاج مسلك الادباء ، ولست ادري أي نهاية سعيدة حقاً ام
شقية ؟

عبد الله عمراء المين نيازي

كانون الاول ١٩٤٨

« للمؤلف »

هم ————— س الأيام

مجموعة قصص موضوعية

ماهزة للطبع

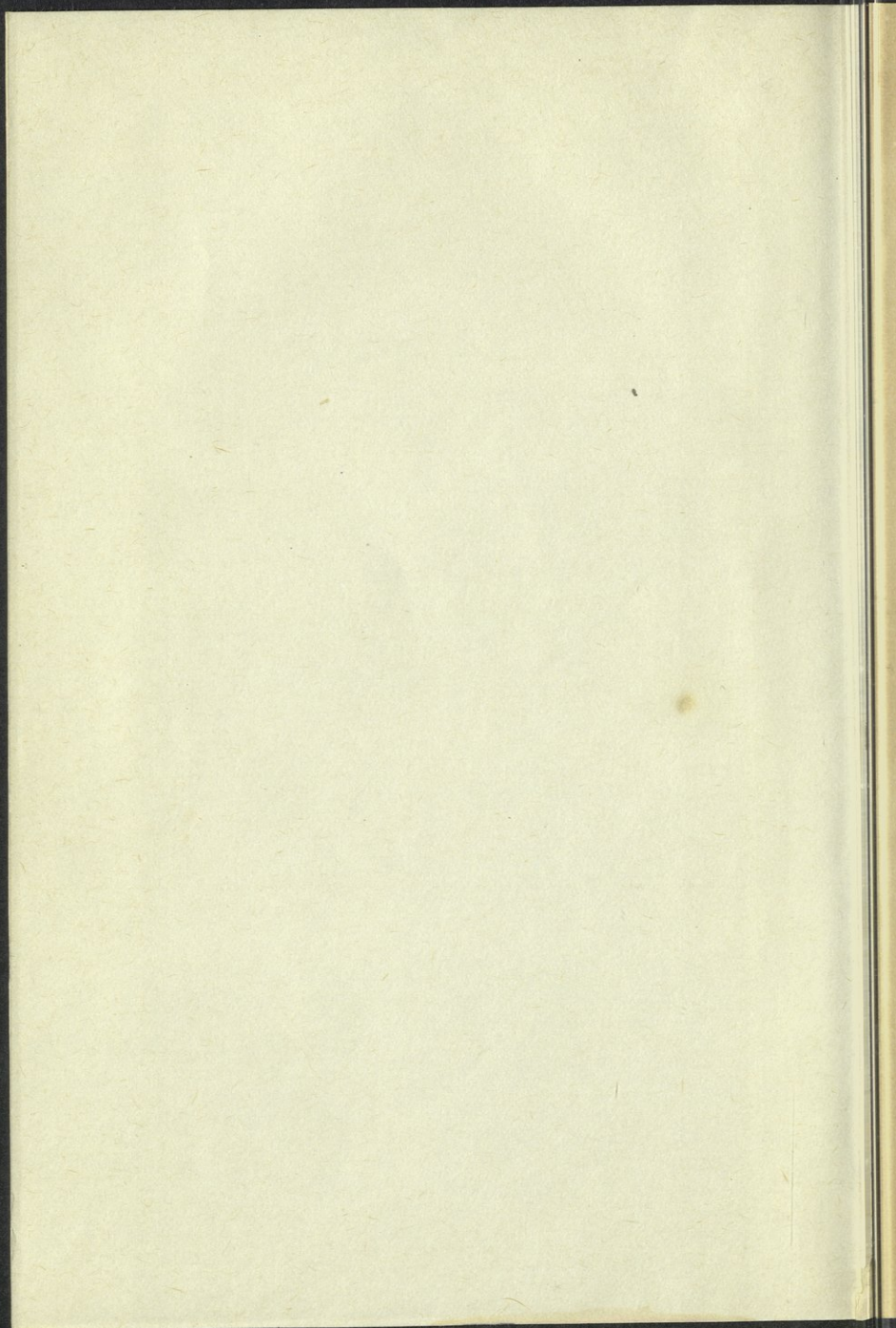
مطبعة الزمان

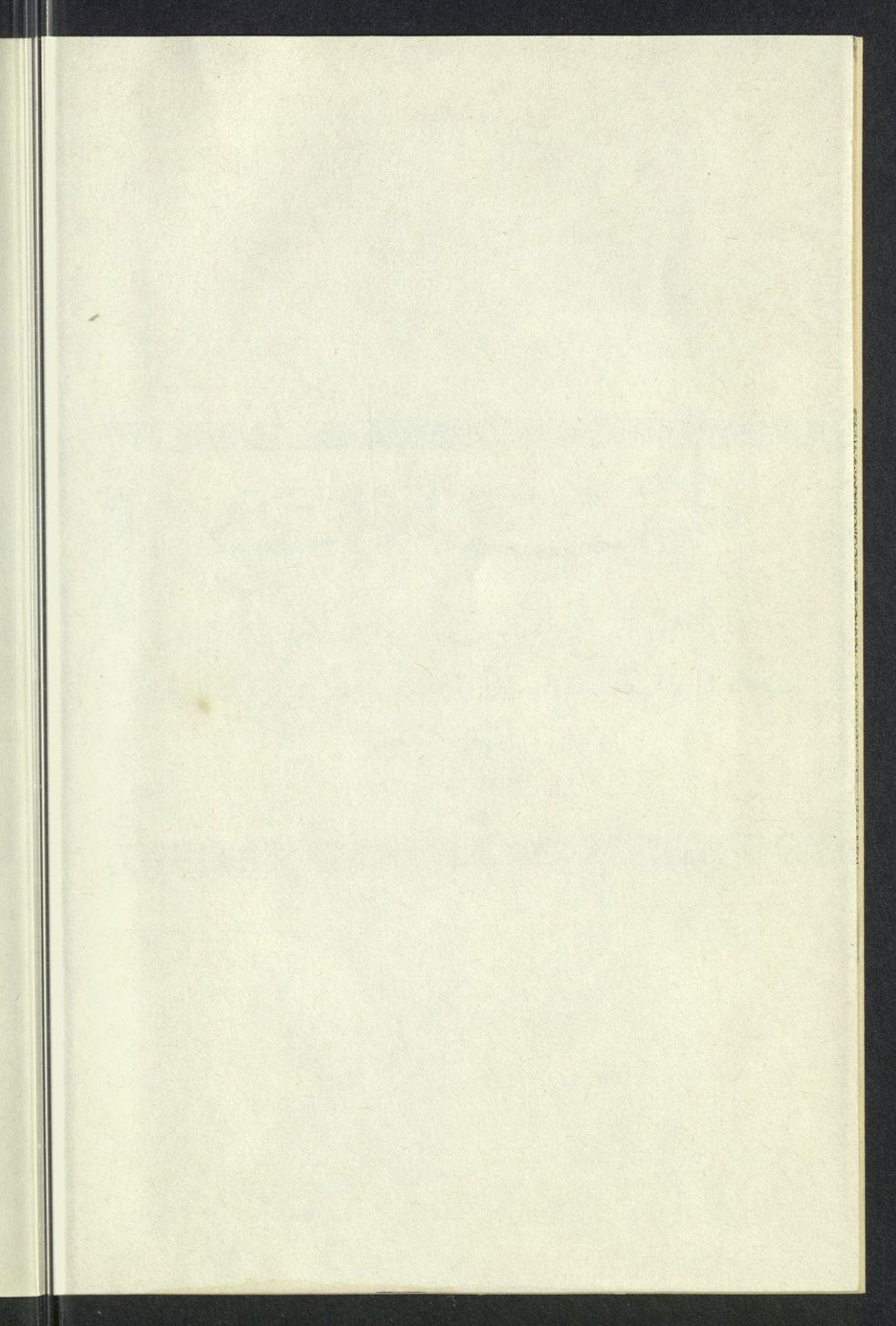
بشارع الامين - بغداد

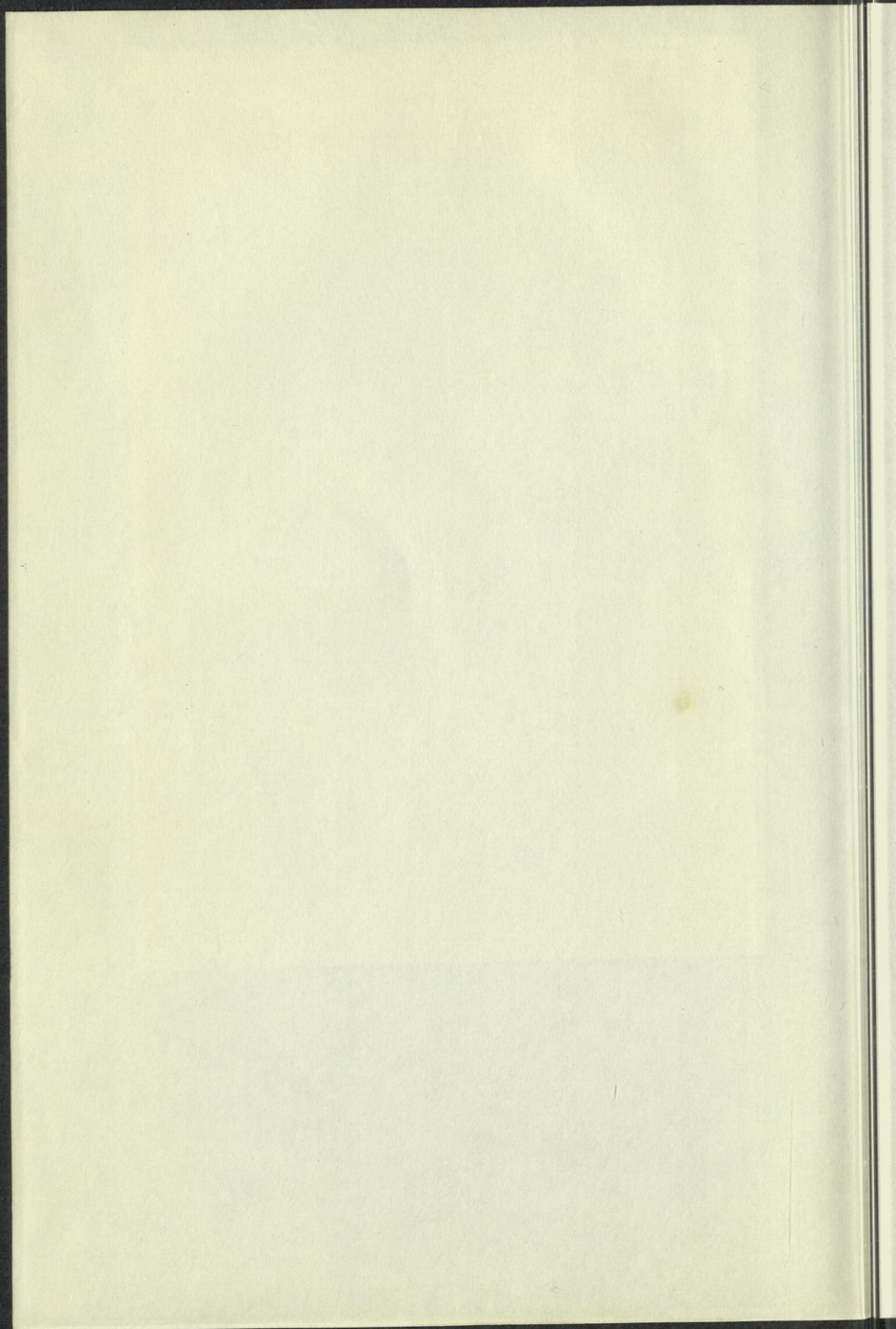
مستعدة لطبع الكتب والصحف والمجلات وجميع اللوازم التجارية

باتقان وبأسعار لا تراحم









DATE DUE

J. LIB.

~~LIB~~

11-3097

~~JAFET LIB~~

~~15 MAR 1980~~

JAFET LIB

~~2 JUL 1990~~

~~LIB~~

~~9 JAN 1985~~

نیازی، عبد الله
نهایه حب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01037689

212-73
N-735H

